

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الاشتراكات

١٠ عن سنة كاملة  
٦٠ عن نصف سنة  
واللطموب  
٨٠ عن سنة كاملة  
٤٠ عن نصف سنة  
٢٥ عن ثلاثة أعداد  
يضاف إليها أجرة  
البريد خارج القطر

المسئولون

مجلة إسلامية جامعة

تصدر مع غرة كل شهر عربي  
ستة عشر أعداد

صاحب الإصدار  
ورئيس التحرير  
سيد رمضان

الإدارة:

٣٢ شارع النيل  
بالروضة بالقاهرة  
تليفون : ٢٤٤٥٥

سبتمبر سنة ١٩٥٢

( الطبعة الثانية )

غرة المحرم سنة ١٣٧٤

جار في مقدمة الشهاب :

## افسح

الحمد لله . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، وعلى أنبياء الله ورسله .  
ومن دعا بدعوتهم إلى يوم الدين . وسلم تسليماً كثيراً .  
ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً « سورة الكهف الآية ١٠ »  
ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت  
الوهاب . « سورة آل عمران الآية ٨ »  
ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا .  
ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الدين من قبلنا .  
ربنا ولا تَحْمِلْنَا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا ، أنت مولانا  
فانصرنا على القوم الكافرين « سورة البقرة الآية ٢٨٦ »

\*\*\*

اللهم إنا نستعينك ونستهديك ونستغفرُك وتوبُ إليك ونؤمنُ بك ونتوكلُ  
عليك وننثي عليك الخير كله ، نشكرك ولا نكفرك ، ونخلع ونترك من يفجرك ،  
اللهم إياك نعبدُ وإليك نصلي ونسجدُ ، وإليك نسعى ونحفدُ ، نرجو رحمتك ونخشى  
عذابك إن عذابك الجد بالكفار ملحق .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الاشتراكات

١٠٠	عن سنة كاملة
٦٠	عن نصف سنة
	وللطوب
٨٠	عن سنة كاملة
٤٠	عن نصف سنة
٢٥	عن ثلاثة أعداد
	يضاف إليها أجره
	البريد خارج القطر

## المسلمون

مجلة إسلامية جامعة

تصدر مع غرة كل شهر عربي  
ستة عشر أعداد

صاحب الإصدار

ورئيس التحرير

عبد رمضان

الإدارة:

٣٢ شارع النيل

بالروضة بالقاهرة

تليفون : ٢٤٤٥٥

سبتمبر سنة ١٩٥٢

( الطبعة الثانية )

غرة المحرم سنة ١٣٧٤

جاء في مقدمة الشهاب :

## افتتاح

الحمد لله . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، وعلى أنبياء الله ورسله .  
ومن دعا بدعوتهم إلى يوم الدين . وسلم تسليماً كثيراً .

ربنا آتانا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا « سورة الكهف الآية ١٠ »  
ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت  
الوهاب . « سورة آل عمران الآية ٨ »

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا .

ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا .

ربنا ولا تجعلنا مالا لنا به وعاف عنا وافرغ لنا وارحمنا ، أنت مولانا

فانصرنا على القوم الكافرين « سورة البقرة الآية ٢٨٦ »

\*\*\*

اللهم إنا نستعينك ونستهديك ونستغفرُكَ وتوبُ إليك ونؤمنُ بك ونتوكلُ  
عليك ونثني عليك الخير كله ، نشكركُ ولا نكفرُكَ ، ونخلعُ ونتركُ من يَفْجركُ ،  
اللهم إياك نعبدُ ولك نصلي ونسجدُ ، وإليك نسعى ونخفدُ ، نرجو رحمتك ونخشى  
عذابك إن عذابك الجد بالكفار ملحق .

« من قنوت عمر رضى الله عنه فيما أخرجه محمد بن نصر والبيهقي وقال هذا صحيح موصول . وقد ورد في سنن البيهقي في باب القنوت من حديث خاله بن أبي عمران أن جبريل عليه السلام علمه النبي صلى الله عليه وسلم ليقنت به حين كان يدعو على مضر . وهو مرسل لأن خالداً لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم » .

\*\*\*

وبعد فهذه مجلة « الشهاب » تقدمها إلى القراء الكرام : إنسانية الاتجاه ، إسلامية النهج . نرجو أن تكون قبساً يضيء للمتصلين به طرائق الحياة . مستمداً نوره وسناه من هدى القرآن الكريم ، وشرعة الإسلام العظيم .

### الإسلام كنظام اجتماعي :

ولقد جاء الإسلام الحنيف نظاماً اجتماعياً كاملاً — لا مجرد دين لاهوتي — يقوم على مخاطبة الفطرة الإنسانية واستثارة ما فيها من قوى روحية تتمثل عقائد ثابتة ، وخلائق فاضلة ، وأفكاراً عالية ، وأعمالاً نافعة ، وتنظم ملكات الفرد ، وحياة الأسرة وطبقات الأمة ، وواجبات الدولة ، وعوامل الاتصال والأخوة بين العالمين .

ثم هو يرد ذلك كله إلى قواعد اجتماعية حكيمة دقيقة ، تتمزج فيها المثالية السامية بالواقعية الملموسة التي تتصل بدنيا البشر وحياتهم اتصالاً وثيقاً ، حتى إنه ليحول كثيراً من هذه القواعد النظرية إلى أعمال يومية تتكرر كل صباح ومساءً في غاية من البساطة والسهولة واليسر « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ، ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون » « سورة المائدة الآية ٦ »

### أسلوب العرصه :

وطريقة عرص هذه الأحكام الإسلامية على الناس تختلف ولاشك باختلاف الأزمان والبيئات والعقول والمدرجات ، وبخاصة فيما يتصل بالشئون الاجتماعية والسياسات المدنية . ولقد اجتهد السلف الصالح — رضوان الله عليهم — في الكشف والاستنباط والتدوين والكتابة والعرض بما يتفق مع أسلوب عصرهم ومعارف زمانهم ، وتركوا لنا ميراثاً ضخماً لا نظير له ، تتمثل فيه عقليات العصور المختلفة ، والمدارس الفكرية المختلفة والأزمان المتفاوتة التي عاشت مع هذا الإسلام وعاش معها هذا الإسلام ، وارتبطت به وارتبط بها في كل شئون الحياة .

وورثنا نحن أبناء هذا العصر الأخير هذا الميراث فلم نفكر في الاستفادة منه



أو الانتفاع به ، أو الكشف عن درره وجواهره ، ولم تفكر في الأسلوب الذي نعرضها به على أنفسنا وعلى غيرنا عرضاً صحيحاً جذاباً ، يدفع إلى العناية بها ، ويلفت الأنظار والنفوس إليها ، ويضاعف إفادتنا منها .

ولا شك أن ذلك كان أثراً من آثار انصرافنا عن اعتبار الإسلام نظاماً اجتماعياً للحياة بما وقر في صدورنا من تقديس مظاهر الحياة الغريبة واعتبارها المثل الأعلى في مناهج الحياة ، وطغيان هذه الموجة من موجات التقليد الغربي التي غمرتنا في التفكير والثقافة وفي التعليم والتربية وفي نظام الحكم وأساليب السياسة وفي التشريع والقانون وفي المنزل والشارع والمتجر والمصنع وفي كل أوضاعنا الحيوية والاجتماعية ؛ حتى أصبحت شريعة الإسلام العملية ونظامه الاجتماعي أموراً أثرية للنظر والعلم والتاريخ ، لا للعمل والتطبيق والتنفيذ . وهكذا ضاق فهم الكثير من أبناء الإسلام للإسلام حتى جعلوه قاصراً على هذه الموروثات من العقائد والآداب العامة والمعتقدات من ضروب العبادات ، وحتى هذه البقية لم تسلم من الخرافة في الأولى ، ومن الابتداع في الثانية .

### إهمال وصحور :

ومع تغير أوضاع الحياة باستمرار ، ومع أن الزمن يدور دورته دائماً ولا ينتظر المتخلفين ، ومع أنه قد تجددت في المجتمع الإسلامي بحكم التطور الدائم والتغير الدائب أوضاع وصنوف من التعامل والصلات لم تكن من قبل وقف أمامها المؤمنون بالإسلام حائرين لا يدرون ما حكمه فيها وما نسبتها إليه ؛ فأعمال البورصة والبنوك المختلفة والتأمين على الحياة ، والأسهم والسندات في الشركات وعمليات القطع وصور المبيعات الجديدة ، والنظم السياسية الناشئة التي تقوم على الحزبية أو سلطة الحاكم أو حق الأمة ، وحقوق الفقراء في مال الأغنياء ، ونسبة طبقات المجتمع بعضها من بعض ، كل هذه أمور صارت تشغل أذهان الجماهير والشعوب في هذا العصر ، وتتصل بواقع حياتهم ، وتشكلها الحياة بمقتضيات الظروف والضرورات كيفما اتفق . كل ذلك والعلماء المختصون بالتحقيق والتحصيل يرون وينظرون ويسمعون ولا يفعلون شيئاً : إما لأن الكثير منهم يرى أنه لا فائدة في الاهتمام بمسائل نظرية تجري العمليات فيها على نمط غير إسلامي فلا فائدة من إظهار رأي الإسلام فيها ، وهو خطأ ولا شك ؛ فهمة العالم البيان ومحاولة حمل أهل التنفيذ عليه ؛ فإن عجز فقد أدى واجبه وأعذر إلى الله ، وإما لأنهم يرون بعد الشقة ، وضخامة الجهود الذي يجب أن يبذل في البحث والمقارنة مع عدم تهيو وسائل التعاون وانصراف الحكومات والهيئات العلمية المختصة عن التفكير في ذلك واشتغالها

عنه بمشاكلها الإدارية والخاصة ، وهو تقصير لابد أن يتدارك مهما كلفنا من ثمن .  
وهكذا نرى أن أحكام الإسلام قد أهملت ، وعواطف المؤمنين كادت تغمد بين حيرة  
وتقصير كان عنهما الجود والحرمان .

ومنذ سنوات قدّم فضيلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت عقب انضمامه إلى هيئة  
كبار العلماء المصرية اقتراحاً إلى هذه الهيئة يطلب إليها توجيه جهودها إلى هذه الناحية ،  
وتناولت الصحف السيارة هذا الاقتراح بالتشجيع ، ولكن نتيجة عملية لم تظهر إلى  
الآن . وزجو أن تظهر في القريب إن شاء الله .

### موجة مبربرة

وقد أنتجت الحوادث العالمية وأهمها الحرب الماضية العالمية الثانية انقلاباً سياسياً  
وفكرياً واجتماعياً خطيراً ؛ إذ تحطمت مظاهر الأفكار القديمة ، والأوضاع السابقة  
كلها ، ووقف العالم على مفترق طريقين : طريق الأفكار الشيوعية التي تنزعها وتدعو  
إليها روسيا السوفيتية ، وطريق الأفكار الديمقراطية التي تدعو إليها وتنزعها أمريكا  
وانجلترا . وكلا التيارين مسلح بالمظاهر المادية ، والنظريات الجدلية ، واستشارة المطامع  
والشهوات الإنسانية ، وقد امتد أثر هذه الموجة الجديدة إلينا ، بل إنها لتغمر مجتمعاتنا  
الإسلامية في كل مكان : ففي بوادي الحجاز وصحارى اليمن ومجاهل أفريقيا وهضاب  
آسيا وسهول مصر ، وبين البدو والحضر وفي القرى والدن وفي كل مكان صرنا نسمع  
كلمات الشيوعية والديمقراطية والنازية والفاشية وملحقاتها وما يشتق منها ويتصل بها .  
ويحاول المبشرون بهذه الأفكار أن يركزوها على قواعد من المنطق والفكر ، وأن  
يلبسوها ثوب العقائد الثابتة ، ويصلوها بالمشاعر والوجدانات الأصيلة في الإنسان ،  
ويزينوا للأمم والشعوب فوائد الأخذ عنها ، ويدفعوهم دفعاً إلى الإيمان بها والارتقاء  
في أحضانها ؛ مع أن الإسلام الخفيف قد كفى الله به وأغنى من حيث الأفكار والمشاعر  
أو الأوضاع العملية .

هذه الموجة الجديدة الطاغية تحتاج أرضاً في قوة واندفاع ، ونحن في حالة تذبذب  
بين الاتجاهين ، ولا بد من الاستقرار ؛ فدوام هذا التردد من المحال ، والاستقرار على  
قواعد أحد المذهبين من أخطر الخطر على كيان الأمم العربية والإسلامية والشرق كله ؛  
فليست هذه المبادئ إلا فورات وقتية لأعراض فساد اجتماعي مكبوتة في بيئة من  
البيئات ، ثم تطورت إلى أستار حريرية تخفي وراءها مطامع الغاصبين وأحلام  
المتسيطرين . ولا نجاه للعرب ولا للمسلمين ولا عزة للشرق إلا أن يتخلص منها جميعاً

ويستمد من نفسه ويعتمد على نعمة الله التي أنعم بها عليه ؛ فهو مهد النبوات ، ومهبط الوحى ، ومشرق الرسالات ، ووارث كتب السماء وهدايتها إلى الأرض ، وقد تبلورت هذه المعاني العليا جميعاً في كتاب الإسلام الحنيف وهدى رسوله العظيم سيدنا « محمد » النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم . وكل هذه الأحداث تجري في قوة وسرعة ، والرجال المختصون بالبحوث الإسلامية لا يقدرّون الأمر قدره ، ولا يهتمون بما يحدثه هذا التطور الجديد في الكيان الإسلامي نظرياً وعملياً من عميق الآثار .

مع أنها في الحقيقة فرصة سانحة لا يمكن أن تعوض ليعرض فيها الإسلام كنظام اجتماعي كامل شامل يفضل كل ماعداه ولا يفضل نظام سواه ، والحجة واضحة والبرهان قائم ، والله الحجة البالغة « والله غالبٌ على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

#### القضية الأولى :

وعلى هذا فستكون القضية الأولى في رسالة « الشهاب » علاج هذه الناحية علاجاً دقيقاً ، ومحاولة تقديم رسالة الإسلام الحنيف على أنه « نظام اجتماعي لا مجرد دين لاهوتي » ، والمقارنة بينه وبين قواعد النظم الاجتماعية الأخرى التي خلّبت ألباب الناس وملكت عليهم مشاعرهم واستهوت أنظارهم وأفتنتهم ؛ فيرى المنصفون بالدليل المنطقي والتحليل العلمي ، والبحث المجرد أنه قد جمع تحاسنها كلها وتنزه عن مثالبها ومساوئها ، وأنه أولاها جميعاً بالتطبيق والتنفيذ ، وأن هذا هو الأساس الوحيد لإنشاء العالم الجديد الذي يقوم على الحق والفضيلة والأخوة والتعاون والسلام ؛ فيسعد في الدنيا ويفوز في الآخرة . والله عاقبة الأمور .

#### القضية الثانية :

على أن الإسلام نفسه لم يسلم عند المسلمين من أن يلصق به ما ليس منه ، وينسب إليه ما ينكره أشد الإنكار ! وهو بطبيعته التي أظهره الله بها سهل بسيط ميسور لا حرج فيه ولا غموض ، وإنما عقدته آراء الناس ولونته أفكارهم في مختلف العصور والأزمان . ولقد كان الرجل من البادية يجلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع دقائق أو ساعة من نهار فيقوم مسلماً أفضل ما يكون المؤمنون إيماناً ؛ لصفاء فطرته ، وسلامة نفسه ، وسهولة الإسلام وبساطته ويسره . وكان الإسلام حينذاك حياة قلبية تنصب في النفوس ، ونوراً ربانياً يشرق على الأفئدة ، وأعمالاً مخلصّة يقصد بها



وجه الله ، وتجرداً للحق وفناء في سبيله تعلو به دعوة الخير وتسود ، فتحوّل ذلك كله إلى نظريات في الكتب ، وألفاظ على الشفاء ، وأعمال بحكم العادة ، وتجارة باسم الحق للحصول على مغايم الدنيا . ومحال أن تنهض على هذه القواعد دعوة أو تحيا أمة أو تقوم دولة ١ .

وعلى هذا فستكون « القضية الثانية » محاولة عرض أحكام الإسلام الخفيف على المسلمين أنفسهم عرضاً فطرياً بسيطاً على النحو الذي عرفها عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون لهم بإحسان ، قبل تبلبل الأفكار ، وتفكك الوحدة ، وغلبة الدنيا ، واستبداد الأهواء بالجماعات والأفراد على السواء .

وإن شئت قلت: إن هذه هي القضية الأولى والسابقة تليها وتلحق بها ؛ فهذه تأسيس وتلك تحصين وأنت بهذا لم تعد الصواب .

### القضية الثالثة :

والدين منذ عرفته البشرية على هذه الأرض ، وجاء به أنبياء الله ورسله : نوح وإبراهيم وعيسى وموسى ومحمد وغيرهم صلوات الله وسلامه عليهم يقوم أول ما يقوم على الاعتقاد والإيمان ( بالله ) الخالق المتصف بكل كمال والمنزه عن كل نقص ، وعلى ما يتبع هذا الاعتقاد من إيمان بأفعال الله ، ونسبة أفعال المخلوقين إليها ، وإيمان بالأنبياء والرسل الذين بعثهم الله لهداية عباده ، والكتب السماوية التي أنزلها عليهم تتضمن شرائع دينه . وعن هذه العقائد التي تتصل بحقائق الدين العليا انبعثت أرقى الحضارات ، وأخلد المدينيات ، وأسمى الأخلاق ، وأفضل الأعمال .

والماديون ينكرون على الدين هذه العقيدة ويجادلون فيها أشد الجدل ، ويصفون بالخرافة والضعف هذه العقلية « الغيبية » التي تؤمن بالله لانراه ، ويريدون أن يقرروا في الأذهان والنفوس أنه لا شيء هناك إلا هذه المادة الصماء وما يتصل بها من قوى ، وما يعرض لها من تفاعلات ، وأنه لا رقي ولا تقدم إلا في ظل هذه العقلية « العلمية » البعيدة عن أوهام الدين وخرافات المتدينين .

### القضية الرابعة :

ومسألة أخرى لا تقل في الأهمية عن سابقةها وهي تتممها وتلحق بها تلك هي : « حقيقة الإنسان وماذا وراء هذا الوجود المادي » فهل الإنسان هو هذا الهيكل المادي بلحمه ودمه وعظمه وعصبه وما تنتج هذه الأخلاط والأجهزة من تطورات فزيولوجية ؟

وهل تقف حدود الكون عند الوجود المادى بأرضه وسمائه ومائه وهوائه وجماهه وحيوانه وإنسانه ، وليس وراء ذلك إلا ما هو من جنسه من نتاج المادة وآثارها ؟ يقول الماديون : نعم لا شئ إلا هذا ! ويقول الدين والإيمان : لا . إن لهذا الإنسان « حقيقة الروحية ولطيفته الربانية التى أودعها الله فيه » والتى تحمل هذا الهيكل وهو لها كالغلاف ، وعنها يكون الوجدان والإرادة والإدراك ، وهى العقل أحياناً والنفس أحياناً والروح أحياناً أخرى ، وهى سر الإنسانية ، ومناطق التكليف والجزاء فى الدنيا والآخرة ، وإن وراء هذا الوجود وجوداً آخر لا يقوم على جنس هذه المادة ، بل له كيانه الروحى الذى تعرف آثاره ، وتدق حقيقته عن الإدراك وهو ينتظم ما يطلق عليه فى عرف الشرعيين « عالم السمعيات » . ويكاد يكون تاريخ الفلسفة الإنسانية هو تاريخ النزاع بين الملحدّين والمؤمنين فى هاتين القضيتين : قضية الألوهية وما يلحق بها ، وقضية الروح وما يتبعها . وهذا النزاع يتجدد دائماً كلما ساعدت الظروف الاجتماعية أحد طرفيه على القوة والظهور .

ولقد لازمت المدنية الغربية الحديثة ، والحياة الغربية العصرية التى تعتمد على الكشف والاختراع والعلم التجريبي الذى أنتج الآلات الهائلة ، وكون الثروات الضخمة وأمدّم بكل مظاهر القوة ، واصطدم بكثير من تعاليم الكنيسة المتوارثة عندهم ففكرة الإلحاد والتملص من تبعات الإيمان الدينى حيناً من الدهر ، حتى استردت البحوث النفسانية والروحية بعض قوتها فى ذلك المحيط خلال السنوات الأخيرة . ولكن الحرب الثانية ما كادت تنتهى حتى أخذ هذا النزاع يتجدد فى ثوب من المبادئ والتعاليم الاقتصادية المحببة إلى النفوس المغربية بالآمال .

ولقد تأثرنا نحن فى مصر وفى سائر البلاد العربية والإسلامية بهذه النزعات الفكرية والاجتماعية والنفسانية العنيفة بحكم اتصالنا بأمة الغرب وشعوبه ، وكانت أعراض هذا التأثير تبدو فى كثير من الأحيان فى صور شتى من ألوان الإنتاج الفكرى ، ورغبات الإصلاح الاجتماعى . ولا بد لنا من علاج هذه القضايا فى كثير من الجراة والوضوح علاجاً علمياً ينبغى عنها زيف المبطلين ، ومغالطة الجاهلين المتعصبين . وقدما كان التعصب وصفاً يكاد يكون ملازماً لجماعة المتدينين ، فصار اليوم ألصق ما يكون بهؤلاء الماديّين الذين جمّدوا على آرائهم الباطلة وإن خالفت الدليل الواضح والبرهان القاطع ! والهداية من الله « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد فى السماء »



ومع أن هاتين القضيتين من صميم البحوث الإسلامية إلا أننا سنغنى بعلاجهما والتعرض لهما عناية خاصة في بحوث هذه المجلة لأهميتهما وحاجة المجتمع — وبخاصة بين المثقفين — إلى الاستقرار النفساني والعقلي فيهما .

وأظن أنك قد عرفت من هذا الكلام أن القضيتين الثالثة والرابعة هما قضيتا الألوهية وما وراء المادة .

### رسالة الشهاب :

وعلى هذا فيكون أول ما تعنى به « الشهاب » علاج هذه القضايا .

- ١ — محاولة عرض الأحكام الإسلامية عرضاً مبسطاً عملياً شاملاً يوافق أسلوب العصر
- ٢ — ومحاولة تقديم الإسلام كنظام اجتماعي كامل لا مجرد دين نظري لاهوتي .
- ٣ — والدفاع عن أحقية عقيدة « الإيمان بالله » .
- ٤ — والانتصار « للروح الإنساني » .

وستقدم هذه الحقائق للقراء الكرام في ثوب من نصوص الدين وبحوثه أحياناً ، ومن التاريخ ، أو الأدب ، أو القصص ، أو العلم والفن ، أو تمحيص المواقف والشبهات أحياناً أخرى ، مع التعرض لعلاج بعض مظاهر النقص في المجتمع ، وبيان طرائق العلاج ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً ، ومع عرض الموقف العام للعالم الإسلامي في كل شهر ، وتسجيل أهم الحوادث فيه ، وأظهر الأخبار المتعلقة به . والله المستعان .

### المنار والشهاب :

ولقد سبقت مجلة « المنار » التي كان يصدرها الأستاذ الكبير « السيد محمد رشيد رضا » — رحمه الله — في هذا المضمار سبقاً بعيداً ، وأسست مدرسة فكرية إسلامية على قواعد هذا الإصلاح الإسلامي الجليل لا زالت آثارها باقية في نفوس النخبة المستنيرة من رجال الإسلام إلى الآن ، وناخفت عن حقائق هذا الدين ومقاصده أقوى دفاع ، ووقفت للملحدين والإباحيين والجامدين بالمرصاد ؛ مما جعل لها أجمل الأثر في خدمة الإسلام لهذا العصر في مصر وغيرها من الأقطار .

كما قامت مجلة « الشهاب » الجزائرية التي كان يصدرها الشيخ عبد الحميد بن باديس — رحمه الله — في الجزائر بقسط كبير من هذا الجهاد ، مستمدة من هدى القرآن الكريم وسنة النبي العظيم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

وإننا نلجؤ أن تقفوا « الشهاب » المصرية الناشئة أثرها ، وتجدد شبابهما ، وتعيد في الناس سيرتهما في خدمة دعوة القرآن وتجلية فضائل الإسلام ، على أن الفضل للمتقدم وفضل السبق ليس له كفاء . والله المستول أن يحقق الآمال ، وأن يهيء لنا من أمرنا رشداً . آمين .

حسن البناء

### والمسلمون :

و « المسلمون » ليست إلا قبسا من أقباس هذا « الشهاب » تقفوا أثره وتعيد في الناس سيرته في خدمة دعوة القرآن وتجلية فضائل الإسلام ، ومُصدرها ليس إلا تليذاً من تلامذة « حسن البناء » الكثيرين ، وقد نعم رضى الله عنه وأرضاه بالشهادة بعد أن أدى الرسالة وأرسى الأساس ورسم قواعد البناء ، وترك ذلك كله وديعة مباركة في يد الله الذي أكرمه فجعله الداعي إليه على بصيرة ، وبارك سعيه فجعله مشرق النور والأمل في العالم الإسلامي جميعه ، ثم اختار له حين حضره الأجل المحتوم — وأجل الله إذا جاء لا يؤخر — أكرم مودة في سبيل الحق ، ففضى إلى ربه شهيداً عزيزاً ، يشهد له دمه الحر الزكي المراق في سبيل الله ؛ وتركه كذلك في حراسة جيل جديد صالح درج في حجره واتسم بسمته ، وعاهده عهد الصدق أن يعيش للإسلام « فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً » « سورة الأحزاب الآية ٢٣ »

### هذه التسمية :

ولست أدري كيف جاء هذا الاسم : « المسلمون » إلا أنني وجدته في نفسى وانشرح له صدرى وأنست إلى تسمية المجلة به فهو وصف هذه الأمة القديم « ... ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا » وهو عَلم أهل الحق في حجر كل نبي ورسول « ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين . إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين . ووصى بها إبراهيم بنبيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون . أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون »

« سورة البقرة الآية ١٣٠ — ١٣٣ »

وقد قال الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده في هذه الآية :

« خلاصة هذه الوصية عقيدة الوحدانية في العبادة وإسلام القلب لله تعالى والإخلاص له . وتكرار لفظ ( الإسلام ) في هذه الآيات يراد به تقرير حقيقة الدين ؛ ذلك أن العرب كانت تدعى أن لها ديناً خاصاً بها وأنه الحق ، وإن اختلفت فيه القبائل والشعوب ، ومنهم من كان ينتمى إلى إبراهيم على وثنيته ، وكذلك اليهود والنصارى كل يدعى ديناً خاصاً به وأنه الحق ، فبينت هذه الآيات أن هذه الدعاوى من التعصب للتقاليد وأن دين الله تعالى واحد في حقيقته ، وروحه التوحيد والاستسلام لله تعالى والخضوع والإذعان لهداية الأنبياء ، وبهذا كان يوصى أولئك النبيون أبناءهم وأممهم . فتبين أن دين الله تعالى واحد في كل أمة وعلى لسان كل نبي ، ولذلك قال في آية أخرى :

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » فالتفرق في الدين ما جاء إلا من الجهل والتعصب للأهواء ، والمحافظة على الحظوظ والمنافع المتبادلة بين المرءوسين والرؤساء ؛ فالقرآن يطالب الجميع بالاتفاق في الدين والاجتماع على أصله : العقلي وهو التوحيد والبراءة من الشرك بأنواعه ، والقلبي وهو الإسلام والإخلاص لله في جميع الأعمال .

وعلم من هذا أن لفظ الإسلام والمسلمين في كلام إبراهيم وإسماعيل ويعقوب يراد به معناه الذي تقدم ؛ فمن لم يكن متحققاً بهذا المعنى فليس بمسلم : أى ليس على دين الله القيم الذي كان عليه جميع أنبياء الله . وأما لفظ الإسلام في عرفنا اليوم فهو لقب يطلق على طوائف من الناس لهم مميزات دينية وعادية تميزهم عن سائر طوائف الناس الذين يلقبون بألقاب دينية أخرى ، ولا يشترط في إطلاق هذا اللقب العرفي عند أهله أن يكون المسلم خاضعاً مستسلماً لدين الله مخلصاً له أعماله ، بل يطلقونه أيضاً على من ابتدع فيه ما ليس منه أو ما ينافيه ، ومن فسق عنه واتخذ إلهه هواه . ومعنى الإسلام الذي دعا إليه القرآن تقوم به الحجة على المشركين ، ويعترف به اليهود والنصارى لأنه روح كل دين ، وهو الذي دعا إليه النبي صلى الله عليه وسلم ، والدعوة إلى اللقب لا معنى لها .

فالإسلام لله هو غاية الرسل والرسالات جميعاً :

« وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين » « سورة النمل الآية ٩١ »

« وأمرت لأن أكون أول المسلمين » « سورة الزمر الآية ١٢ »

« فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً » « سورة الجن الآية ١٤ »



وهو دعوتهم في الناس :

« قل إنما يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون »

« سورة الأنبياء الآية ١٠٨ »

« فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المختبين » « سورة الحج الآية ٣٤ »

« ألا تعملوا على وأتوني مسلمين » « سورة النمل ٣١ »

### نسب الحق :

إذا أسلم المسلمون هذا الإسلام ، وفنيت إراداتهم في إرادة الله واستعلن في حياتهم كلها أمر واحد هو أمر الله ، واستبان لهم الحياة كلها محراباً واسعاً يعبد الله فيه بكل حركة وسكنة ، وأشرقت آياته في أنفسهم نوراً ينسكب من السماء ، وأوامر فيها جلال الوحي وروعة شأن الله ، فإنهم يصبحون بذلك الأمة الأمانة على الحق في الأرض : نسبها فيما بينها بمقاييس الحق ، والشهيدة على الناس بالقسط : يشهد فهمها وإيمانها وأخلاقيها أن رسل الله قد أبلغوا ما أرسلوا به ، وأن حجة الله قد استعلنت على الناس في لحم ودم وثوب مما يلبسون : في مجموعة منهم أسلم ظاهرها وباطنها ، واتحد على كلمة الله أبيضها وأسودها ، واندفعت على أعينهم صورة حية لدعوتها ، وتفسيراً عملياً لفكرتها ، ولم يبق بعد إلا أن يأخذ الناس الأسوة بما يرون ويسمعون ، ويحييوا داعي الله « آمنوا كما آمن الناس » .

هذه رسالة المسلمين في أرض الله « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً » وهم حين أخذوا دينهم بقوة وعملوا به كله ولم تفتنهم عنه الأهواء ، انتشر بهم نور الله ، ووسعت الناس رحمته ، ووضع عنهم الإسلام إصرهم والأغلال التي كانت عليهم . ولكنهم حادوا بعد ذلك عن صراط الله واتبعوا السبل فتفرقت بهم عن سبيله وذهب أمرهم فرطاً وما ظلمهم الله . ثم نظر غير المسلمين إليهم ليقرأوا في أحوالهم خبر دينهم فلم يجدوا فيهم مصداق ما يسمعون من كلام ربهم وهكذا علق المسلمون نعمة الله وحرّموا أنفسهم بركة الوحي ، وأصبحوا حجة على الإسلام وقد أمروا أن يكونوا حجته على الناس .

غاب المثال الذي يحتذى ، وفقد الحق أمة التي تجتمع عليه ، لا يجمعها غيره ، فتحكم في الناس الهوى ، وانقسموا إلى أمم وشعوب ، لكل منهم هوى يدور به ، وحدود من مصلحته يحدد بها الحق والباطل . و « أنا » التي يعبدونها ويكذبون من أجلها . . . فاستحات الحياة إلى غابة يأكل القوى فيها الضعيف ويطنى زئير السعار في آجامها

على كلمة الحق « رأيت من اتخذ إلهه هواه أفانت تكون عليه وكيلاً » .  
 وإن يستقر في الأرض سلام إلا إذا استبدل الناس بالأهواء التي مزقتهم هوى  
 واحداً يجمعهم ... وعاطفة واحدة تدور بها أنفسهم ، وإلا إذا قامت مقام « أنا »  
 الضيقة في كل فرد وأمة .. أنا الواسعة على الناس جميعاً « ... أنا الله لا إله إلا أنا » .  
 ألا لسلام إلا إذا أسلم الناس لله رب العالمين ، وإن يعتدل ميزان الحياة في الأرض  
 إلا إذا قام عليه المسلمون .

وبعد :

فنحن إذ تقدم اليوم مجلة « المسلمون » لتأخذ بإذن الله مكانها في الركب الميمون  
 من دعاة الحق ، لنستشعر فداحة التبعة وثقل المهمة وأخطار الطريق ، ولكننا نستمد  
 من الله العون والتأييد ، وترسم الخطى المباركة المسددة للإمام الشهيد ، ونجد في نبل  
 المقصد وكمال الغاية ما يهون الصعب ويزكي المهمة وينزه وحشة الطريق « ومن  
 أحسن قولاً بمن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين » .  
 والله المستول أن يحقق الآمال وأن يهيء لنا من أمرنا رشداً . آمين .

سعيد رمضان



# قَصَصُ الْفِرَآءِ

آءَم عَلَيْهِ السَّلَام

عرض وءءللل للآسءآء البهى ءءولى

للس فى الناس من لءهل قصة آءم علىه السلام ، فقد ءلقه الله من طفن ثم سواه وءفء فىه من روجه وأمر الملائكة أن يسجدوا له ؛ فسجد الملائكة كلهم أءمعون إلا إبلس أبى أن لكون مع الساجءفن ، فغضب الله علىه وطرءه من رءمته ، وقال : يا آءم أسكن أنت وزوءك الجنة وكلا من ءفء شئنا ولا ءقربا هذه الشجرة ، وءذرهما أن ففءنهما الشفطان ففءرءهما من الجنة . . . ولكن الشفطان اسءطاع أن فسءءرءهما إلى ما أراد من المعصفة فأ كلا من الشجرة . . . وما لبثا أن أءركهما الندم وأقبلا على الله يسألانه ءءوبة والمغفرة ، فقبل الله منهما ولكنة أءرءهما إلى الأرض ءفء هبط الشفطان « قال اهبطوا منها ءمعا بعضكم لبعض ءءو » واستءلف الله آءم وبنفه فى الأرض ، وكانت الملائكة ءسءشرف إلى هذه المربة الرففة ءفن أءبرهم سبءانه أنه ءاعل فى الأرض ءللفة ، ولكن آءم وبنفه ذهبوا بشرف هذه الكرامة لما مفرهم الله به من المواهب والأسرار الفف ءؤهلهم لذلك .

\*\*\*

ذلك هو ملءص قصة آءم علىه السلام على ما فقصها القرآن الكرفم ، وقد سبءنا إليها علماء أفاضل ، كل عاملها بالأسلوب الذى فروه وءناولها من زاوفة النظر الفف بءء له ؛ فالءعالبى له نهءه فى عرائسه ، وأسءآءنا العلامة الشفء عبء الوهاب النءار رحمه الله نص فى كءابه على الطرفة الفف اءبعها فى العرض ، وآءرون رأوا أن فسلكوا نهءا به فسر على ناشرءنا الذى لم فالفوا معاناة هذا الضرب من القصص .

وقء اسءءرء الله سبءانه أن أعرض لهذه الكرفة من ءانب آءر ؛ فهى قصة ءكوفن البشرفة ومبءأءقلها فى العوافة والرشد ، ومهمءها ءطرفة الفف اءءفرء لها فى هذه الأرض .

\*\*\*



ومعلوم بالضرورة أن الإنسان ليس مخلوقاً أرضياً بحتاً ولا روحياً بحتاً؛ بل هو مزاج من المادة والروح . . . وتبدأ القصة بتقرير هذا الأصل إذ يقول سبحانه : « إذ قال ربك للملائكة : إني خالق بشرا من طين . فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين (١) » .

واختلط سر الروح بطبيعة التراب ، ونشا من تلاقيهما أو تفاعلها في هذا الكيان البشري ضرب من الحياة : فيه سر السمو والنزوع إلى الله ، وفيه طبع الانجذاب إلى الأرض والركون إلى متعتها الحيوانية . . . أو قل نشأ من تلاقيهما فيه ، مجموعة من القوى الفطرية تتنازع ، فتوحى إليه كل منها ما ترى أنه الخير له ، وهي القوى التي أفاض علماء النفس في تحليلها وشرحها وسموها « غرائز » .

\*\*\*

وفي القصة كثير من الإشارات إلى بدء نشاط هذه الغرائز وظهور آثارها في عالم الواقع لأول مرة .

ففي قوله تعالى : « فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم : هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى » (٢) إشارة إلى غريزة حب البقاء التي عمد إليها الشيطان لجعل يستثيرها في نفس آدم حتى زين له الأكل من الشجرة وأوقعه في المعصية .

وفي قوله تعالى : « فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما » (٣) إشارة إلى تطور الغريزة الجنسية بظهور أعضاء التناسل . فقد كانت هذه السوءات ستورة عنهما بنص الآية الكريمة « فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا خصفان عليهما من ورق الجنة » . . . أين كانت هذه السوءات قبل الأكل ؟ وكيف بدت وظهرت بعده ؟ وما علاقة ثمر هذه الشجرة به ؟

وهناك إشارات إلى ما في طبع الإنسان من ضعف ، وغفلة ، وفتور ، عن رعاية الحدود ، مما يعتبر مداخل للشيطان إلى القلب ، ومزالق تزل منها الأقدام إلى المعصية . وأخرى بإزائها تشير إلى أثر الروح الإلهي حين يشرق في جوانب النفس عقب الخطيئة ؛ فلا يجد المرء لنفسه ملجأ من الله إلا إليه ، فيقبل عليه في إنابة وخضوع : « قال ربنا نلغنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » (٤) .

(٢) سورة طه الآية ١٢٠

(١) سورة ص الآية ٧١ — ٧٢

(٤) سورة الأعراف الآية ٢٣

(٣) سورة الأعراف الآية ٢٠

فنحن إذن بإزاء قصة التكوين والنشور وظهور قوى الإنسان الغريزية لأول مرة في مجال نشاطها الواقعي .

\*\*\*

ولا بد لهذا الخلق الممتاز من رسالة ومهمة يؤديها في هذه الأرض ؛ فما كان الله سبحانه ليخلق شيئاً عبثاً . . . وما كان جل شأنه ينفخ من روحه في هذا الكائن إلا ليعده لأمر جليل يتكافأ مع شرف الروح الإلهي . . . ولقد أشار سبحانه إلى هذا الأمر وهو يعرض قصة آدم أو قصة تكوين هذه البشرية ونشوتها فقال جل ثناؤه : « وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة »<sup>(١)</sup> . فالخلافة هي الرسالة أو هي الأمر الجليل الذي رشح له الإنسان ، وهي خلافة عن الله سبحانه في عمارة هذه الأرض عمارة روحية مادية .

والبشر لم يجهز لأداء هذه الرسالة بغرائزه الحيوانية فحسب ، ولا بأمداده الروحية فقط ؛ وإنما جهز بما ينظم ذلك كله ويلأثم بين بعضه وبعض ، ويجعل منه قوة إنشائية مباركة تعمّر الأرض على هدى وصراط مستقيم . . . تلك الموهبة هي « العلم والمعرفة » أو « الاستعداد الفطري للعلم والمعرفة » .

بهذا كله كان الإنسان أصلح لخلافة الله في هذه الأرض من الملائكة الذين لا يملكون ما يملك من المواهب . وإليه الإشارة بقوله تعالى : « وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانه لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم »<sup>(٢)</sup> .

تلك هي العناصر الكبيرة البارزة في قصة أبي البشر عليه السلام :

- ١ — التكوين .
- ٢ — بدء ظهور الغرائز والقوى الحيوية في مجالها الواقعي .
- ٣ — المهمة الخطيرة التي أسندت إلى البشر في هذه الأرض .

والله سبحانه وتعالى إذ يقص علينا هذا القصص لا يريد مجرد الإخبار وإفادة التاريخ ، ولا يقصد أن يسوق للمتفهمين به دروساً في التشريع الجنائي والتحليل النفساني ؛ إنما يلخص تاريخ هذه الحوادث أو حوادث هذا التاريخ ويستخلص منها رحيقاً تحيياً به

(١) سورة البقرة الآية ٣٠

(٢) سورة البقرة الآية ٣١ — ٣٢

القلوب وتستتير به البصائر ، هو رحيق الاعتبار وتنبيه النفوس من غفلتها وثبات الأفتدة على أمر الله « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك (١) » .  
« لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب (٢) ... »

وعلى نحو ما فهمت من هذا المنهج أحاول علاج هذه العناصر الكبيرة . والله أسأل أن يجنبنا زبغ العقيدة ومضلات الهوى واتباع ما تشابه من نصوص كتابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وأن يثبتنا على المحكم الواضح من آياته . إنه نعم المولى ونعم النصير ، وهو المستعان وبه التوفيق .

## التكوين

« إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين ، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين » هذه الآية الكريمة ، ويظهرها كثير من الآيات صريحة في أن الله تعالى خلق الإنسان من طين ، ثم سواء ونفخ فيه من روحه حتى صار بشراً سوياً .

وقد رأى بعض الباحثين في قصة آدم أن يناقشوا « نظرية داروين » التي تقول : إن الإنسان أصله قرد ترقى بسبب عوامل مجهولة حتى صار إلى ما هو عليه الآن ، وليس أصله آدم كما تقول النصوص الدينية ، وردوا على ذلك بأن تلك النظرية لم تزل موضع البحث ولم تبلغ مرتبة العلم التعيني بعد ، ولها مؤيدون ومعارضون ، بل إن من فلاسفتهم من يذهب إلى عكس تلك النظرية فيقول : إن القرد أصله إنسان انحدر إلى الهيئة التي هو عليها . . بل إن داروين نفسه يقرر أن هناك حلقة مفقودة بين القرد والإنسان .

ويقول أستاذنا الشيخ عبد الوهاب النجار عليه رحمة الله : فإذا وصل أصحاب النظرية إلى الأدلة القاطعة التي تجعل هذه القضية بدئية تساوى في بدايتها : السماء فوقنا والأرض تحتنا ، كان لزاماً علينا أن نؤول القرآن ليوافق الواقع كما هي القاعدة القائلة : إن القرآن يؤخذ على ظاهره بدون تأويل إلا إذا منع من ذلك مانع فيعتمد إلى تأويله .

وأرى أن ذلك لو حصل — وهو بعيد جداً — فإن مرونة آيات الكتاب الكريم — وأعني بالمرونة سعة آفاقها — تغني عن التأويل الذي يتوقعه أستاذنا الكبير رحمه الله ، أو على الأقل سيكون التأويل قليلاً جداً لا يبلغ الدرجة التي يتصورها القاريء من عبارة الأستاذ التي نقلناها .



ومن رجع إلى الآيات التي تتحدث عن بدء خلق الإنسان يقتنع بما نقول . ونكتفي عن إيرادها كلها بإيراد قوله سبحانه : « ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم ، الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون (١) » ، فالمرونة التي ترى في هذه الآية الكريمة وغيرها كفيلة بإقرار العقيدة التي أرساها الدين في قلوبنا ولا خوف عليها مما يأتينا به هؤلاء .

على أن ذلك مبحث لا يعود علينا بشيء من النفع في دنيانا ولا في آخرتنا ؛ فالإنسان وجد نفسه هكذا على الأرض ، وصلاحه فيها لن يكون إلا بصلاح ما يبذل فيها من جهد ، وهو في آخرته لن يؤخذ بما كان من أصله أيا كان هذا الأصل إذ « لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا » ورحم الله امرأ شغل نفسه بما يصلح معاشه ومعاده ؛ وهذا كلام ربنا سبحانه يقول فيه إنه خلق الإنسان من طين ، ثم سواه ونفخ فيه من روحه . . .

ومما ينفعنا في معاشنا ومعادنا أن نعلم أن مزاجنا النفساني محدود بمحدود من طبيعة الطين والسر الذي نفخه الله سبحانه . . . وقد ذكر الله سبحانه عن هذا الطين الذي صورنا منه أنه « صلصال من حمأ مسنون » أي طين أسود منتن كثير الصلصلة ، فإذا استمد مزاج الإنسان من طبيعة ذلك الطين شيئا فقد استمد ما يصور تلك الصفات . . . ورسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح لنا باب هذا الأفق من طبيعة الإنسان فيما يرويه عنه أبو موسى الأشعري : « إن الله عز وجل خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك ، والسهل والحزن والحديث والطيب » — قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح — فرسول الله صلى الله عليه وسلم يشير بهذا الكلام الدقيق العميق إلى أن طبيعة طينة المرء تضرب في كيانه حتى تظهر فيما يعرف به من صفات حسنة أو رديئة .

أما قوله جل ثناؤه : « ونفخت فيه من روحي (٢) » فأمر دقيق خطير كثير المزالق . ولا نحب أن نتكلف فيه ما ليس لنا به علم ، وحسبنا العلم الذي يبدو لنا من ظاهر قوله سبحانه : « ونفخت فيه من روحي » ، على أن يكون مفهوما أن الله عز شأنه إذ أسند النفخ إلى ذاته فقال : « ونفخت » لا يريد أن له نفخا على مثال ما يجري منا ،

فليس كمثل شيء وهو السميع البصير . فليعتقد كل إنسان أن النفخ حصل ، وليجنب نفسه تصور الهيئة التي جرى عليها ؛ فكل ما خطر ببالك فالفه بخلافه .

أما الروح الذي أضافه سبحانه إلى نفسه في قوله : « ونفخت فيه من روحي » فنحب أن نعتمد في فهمه على القرآن الكريم نفسه ؛ فمن قال به صدق ومن حكم به عدل . ولقد قال العلماء إن الروح جاء في القرآن على عدة أوجه :

١ — الروح المذكور في قوله تعالى : « يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون <sup>(١)</sup> » وفي قوله : « تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم <sup>(٢)</sup> » وهو روح عظيم من أمر الله لم يذكر لنا شيئاً آخر عنه .

٢ — جبريل عليه السلام ، وذلك قوله سبحانه : « نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين <sup>(٣)</sup> » فهذا الروح الأمين هو جبريل إذ المعروف أنه هو الذي كان ينزل بالوحي من عند الله تعالى : « قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله <sup>(٤)</sup> » ؛ وهو كذلك روح القدس لقوله تعالى : « قل نزله روح القدس من ربك بالحق <sup>(٥)</sup> » .

٣ — عيسى عليه السلام ، إذ سمي بأنه روح من الله في قوله سبحانه : « إنا أنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكنته ألقاها إلى مريم وروح منه <sup>(٦)</sup> » .

٤ — الوحي ، وذلك قوله تعالى : « وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا <sup>(٧)</sup> » وقوله : « ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده <sup>(٨)</sup> » .

٥ — سرٌّ من لدنه يمد به الله سبحانه من يشاء من عباده المؤمنين فيكون لهم من صفات الثبات والقوة والسكينة ونحوها ما يتم به التأييد والنصر ، وذلك قوله تعالى : « أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه <sup>(٩)</sup> » .

فأى هذه الخمسة يمكن أن يطمئن العقل إلى أنه هو الذي نفخه الله في الإنسان ؟ إن العقل لا يطمئن إلى أنه هو الروح الذي يقوم والملائكة صفاً ، ولا إلى أنه جبريل .

(٢) سورة القدر الآية ٤

(١) سورة النبأ الآية ٣٨

(٤) سورة البقرة الآية ٩٧

(٣) سورة الشعراء الآية ١٩٣ — ١٩٤

(٦) سورة النساء الآية ١٧١

(٥) سورة النحل الآية ١٠٢

(٨) سورة النحل الآية ٢

(٧) سورة الشورى الآية ٥٢

(٩) سورة المجادلة الآية ٢٢

ولاعيسى عليهما السلام ، وليس هو الوحى كذلك ، وبقي الأخير وهو السر الذى تكون به الصفات الطيبة القوية يؤيد الله به المؤمنين . والنفس إليه أميل .

ونحن نستبعد أن يكون المراد بإرسال هذه النفخة هو إجراء الحياة الحيوانية فى بدن آدم عليه السلام ، لأن الروح لم يذكر فى القرآن بهذا المعنى قط . . . ذلك لأن الحياة الحيوانية أمر مشترك بين الحيوان والإنسان ، فليس له من جلاله شأن ما يستحق أن تسجد له الملائكة حين يجرى فى بدن آدم صاحبه . . . هذا وقد ورد فى الحديث الصحيح فى قوله صلى الله عليه وسلم : « . . . فيأتون آدم فيقولون أنت آدم أبو البشر . خلقك الله بيده ، ونفخ فىك من روحه ، وأسجد لك الملائكة ، وعلمك كل شيء . . » فلو كان الذى نفخ فى آدم هو الحياة الحيوانية المشتركة بين كل من الإنسان والحيوان لما رآها المؤمنون خصوصية ترشحه لمقام الشفاعة فى القيامة .

هذا إلى أن الواقع فعلا من أمر الإنسان فى هذه الأرض يرشد إلى أنه ممتاز بسر فى إدراكه وصفاته جعله سيد هذا الأرض المتصرف فى كل ما فيها من ظاهر وخفى ، وإليه الإشارة بقوله سبحانه : « ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضلا (١) » .

فالحياة فى آدم لم تكن حيوانية صرفة ، بل كان يمازجها سر اللطيفة القدسية التى أمد بها حين نفخ الله فيه من روحه فجعلت له فى طبيعته مصدراً للإلهام الخير وصفات الكمال .

\*\*\*

فنحن — إذن — بإزاء ناحيتين تمتد كل منهما مزاج الإنسان بخصائصها : الأولى : ناحية الطين ، أو ناحية الحيوانية المحض ، وهى تمتد بأوصاف الطين المقررة فى مثل قوله سبحانه : « صلصال من حمأ مسنون (٢) » .

فإناء الصلصال هو المتخذ من الطين الجاف ، فإذا نقر صلصل أو سمعت له صلصلة ؛ ولا يكون صلبا متماسكا كإناء الفخار أو الخزف الذى أنضجته النار فصار صالحاً لكثير من أنواع الاستعمال . . . فإذا ورث الإنسان تلك الصفات فهو فارغ أجوف ضعيف تافه لا يهتمسك لمهمات الأمور ، أينما توجهه لآيات بخير ؛ ومثله كثير فى كل مجتمع من أولئك الذين يشبهون الطبل الأجوف بالادعاء الكثير والجمعة التى لا طحن معها . . . ولقد

(١) سورة الإسراء الآية ٧٠

(٢) سورة الحجر الآيات ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٣ .



ورد في القرآن الكريم التنفير من صفات أولئك الذين يقولون ما لا يفعلون ، ويحبون أن يحمّدوا بما لم يفعلوا ؛ وهؤلاء الثرثارين الذين يبنّضهم الله . . الخ .

ولسنا بصدد استخراج كل الصفات السلبية الميّنة التي تسرى — إذا سرت — إلى مزاج الإنسان من جبلته الأرضية ، ويكفي أن نلفت الأنظار إلى ما عساه أن يرثه من الحمأ المسنون وهو الطين الأسود المتغير الرائحة .

وهذا الكلام لا يتعارض أبداً مع ما جاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله : « جاء بنو آدم على قدر الأرض : فجاء منهم . . والسهل والحزن ، والحبيث والطيب » فإننا نعرض لبيان ما يكون عليه الكيان الخلقى إذا ما خلّص الإنسان إلى طبيعة الصلصال والحمأ المسنون وحدها . . والرسول عليه السلام يعرض لبيانته بعد أن ترك له أن يأخذ من خصائص الروح ما شاء .

وهذا مبحث عميق خطير واسع الآفاق ، ولكننا نجتزئ منه بأن جبلة الإنسان الحيوانية سلبية محض من حيث الإمداد بالفضائل القوية الكريمة ؛ ولكنها حين تمد بسر مما نفخ الله سبحانه تنجب ما شاء من تلك الصفات . . فشأن تلك الجبلة شأن الأرض الميتة الهامدة ، لا تنفع منها ولا غناء لها إلا إذا أُطلق عليها الماء الطهور فأحياها وأنبثت به من كل زوج بهيج .

أما الناحية الأخرى — التي تمد الإنسان من خصائصها — فهي ناحية الروح التي ذكرنا آتفاً ؛ ولعلك أدركت أنها تمثل الجانب الإيجابي في الإنسان ، أو المصدر الذي يمد به نار الروح ، وهل ثمارها إلا الحياة ، والقوة ، والحركة ، والجمال ، والنور والإخصاب . . الخ ؟

\*\*\*

وهذا الذي قررنا يصل بنا إلى أن الله سبحانه حين يذكر في القرآن الكريم أنه ينزل الماء على الأرض الميتة فيحييها وتنبث من كل زوج بهيج ، لا يريد إرشادنا إلى دقائق قدرته وحكمته فقط ، ولا إيراد البرهان على إمكان البعث فحسب ، بل يريد إلى جانب ذلك تنبيه المؤمن إلى وجوب إحياء قلبه وأرض بشريته بخصائص الروح التي بثت في فطرتنا وأنزل علينا في كتابه ، ومنه قوله جل ثناؤه « ألم يأن الذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ، ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال

عليهم الأمد فقتل قلوبهم ، وكثير منهم فاسقون ، اعلّموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون<sup>(١)</sup> .

والمؤمن المخاطب بقصة آدم عليه السلام يرى — على ضوء ما قدمنا — أنه مكلف بالانبعاث إلى فضائل الحق والنهوض إلى أسباب الحياة . . يرى أن عليه أن يحيي نفسه بما سلك الله في فطرته من ينابيع الحياة ، وأن يستنبت في بشريته كيانا من صفات الحق ، وفضائل الخير ونور الهداية ، فمن هدى إلى ذلك وأعين عليه فهو الإنسان الحى — ولا معنى للحياة التي ينادى إليها في القرآن إلا هذا — . أما من استغنى وأصم أذنيه ومر كبهيمة الأنعام فهو الميت ، وإن بلغ من قوته أن يصرع الثيران ، وليس لموت النفوس معنى إلا هذا حين يرد في مثل قوله تعالى : « أو من كان ميتا فأحييناه ، وجعلنا له نورا يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون<sup>(٢)</sup> » .

ولقد هدى الصحابة رضوان الله عليهم إلى إحياء قلوبهم واستنبت ما شاء الله من الفضائل في أرض بشريتهم ، وكان مددهم في ذلك كتاب الله وسنة رسوله ، وما في الفطرة من سر الحياة والاستجابة . . ولقد وصف الله ذلك منهم ، وضرب المثل له في التوراة والإنجيل « كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه<sup>(٣)</sup> » .

ولسلك زرع ثمر فما ثمر هذا الزرع الذي به تحيا بواطننا ويحيا فيها ؟ ثمره الشجاعة في الحق أينما كان ، والمجاهدة للباطل وأهله حيث وجدوا : أى أن الغاية التي يجب أن ينتهى إليها جهد المؤمن من تربية نفسه أن يستنبت فيها الجندى المجاهد الذي تملأ الشجاعة كل أقطاره . . ودون ذلك لا . . وأقرأ معنا قوله سبحانه في ثمر هذا الزرع المبارك : « كزرع أخرج شطأه ، فآزره ، فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ، ليغيظ بهم الكفار » فهل يبلغ المؤمن أن يغيظ ويوقع به إلا إذا استوفى كل خصائص المجاهدة والشجاعة .

ولعل مما تطيب له نفسك ويؤنسك في هذا المقام أن تقرأ عكس ذلك في أوصاف أولئك الفارغين الذين حرموا نفوسهم أن تحيا بالحق ؛ فكانت شيئا ميتا لاهمة به ولا نهضة « كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم » وليس أبلغ في وصف الجبن

(٢) سورة الأنعام الآية ١٢٢

(١) سورة الحديد الآية ١٦

(٣) سورة الفتح الآية ٢٩ .

وتفاهة صاحبه من ذلك الهلع الذي يصور له أنه مقصود بالشر من كل صيحة ، ولو كانت صيحة الراعى بغمه ، أو الطفل بأمه .

وإذا كانت خصائص الجندية والمجاهدة هي الثمرة التي ينتهي إليها نضج الحياة في كيان المؤمن فإن لهذا الزرع الزكي فضائل أخرى ، وثماراً تنضج وجه المجتمع ؛ واقرأ قوله تعالى في مناقب أولئك الذين شُبهوا بالزرع أنفسهم : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار . . . رحماء بينهم . . . تراهم ركعاً سجداً . . . يبتغون فضلاً من الله ورضواناً . . . سيماهم في وجوههم من أثر السجود ؛ ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه<sup>(١)</sup> . . . الخ » .

ولا تحسب أننا بعدنا قيد شعرة عن النظر في خصائص ما جبلنا عليه سبحانه من ناحيتي الطين وسر الروح ؛ فما جاءت القصة إلا لتنظر في نفوسنا هذا النظر ، ونسويها على مثال ما عرض علينا من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . . . والله نسأل أن يوفقنا في ذلك إلى ما يرضيه .

« يتبع »



سمو الفقر . . .

فقير على طعريه نفحة حيدر	أعزلنا من ألف كسرى وقيصر
ودين الشباب الحر بأس وعزيمة	وإعلان قول الحق والمنطق الجرى
وإن جنود الله ليست ثعالباً	تراوغ من جبن وتعوى وتفترى
يسير على لث الشرى نهب رزقه	عسير عليه أن يبيع ويشترى

« إقبال »



# تعريف بالكتاب الكريم

للأستاذ الدكتور معروف الدواليبي

الكتاب هو القرآن الكريم ، وهو أجل من أن يعرف أو يحجب ، وهو الأصل الأول والمصدر الأساسي لأحكام الشريعة الإسلامية ، وقد أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم منجماً من ليلة السابع عشر من رمضان للسنة الحادية والأربعين من ميلاده إلى التاسع من ذى الحجة يوم الحج الأكبر للسنة العاشرة من الهجرة ، والثالثة والستين من ميلاده .

وقد كان نزول القرآن كما أشرنا إليه منجماً أى مجزأ ؛ تنزل منه الآية أو الآيات حسب مقتضيات الزمن ومطالب المجتمع .

وقد قُسم القرآن إلى سور ، وبلغ مجموع ما فيه من سور أربع عشرة ومئة سورة ، أولها سورة الفاتحة وآخرها سورة الناس .

وتتألف كل سورة من آيات ، وقد بلغ مجموع ما في القرآن من آيات « ٦٣٤٢ » آية ، منها نحو خمسمائة آية فقط هي آيات تتعلق بالأحكام .

وأول ما نزل منه قوله سبحانه وتعالى : « بسم الله الرحمن الرحيم ، اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم » . وآخر ما نزل منه قوله تعالى يوم حجة الوداع . « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً » .

والمدة بين مبتدأ التنزيل ومختتمه اثنتان وعشرون سنة وشهران ، واثنان وعشرون يوماً .

أهداف القراءة ومقاصده :

قامت دعوة القرآن على هدفين أساسيين : —

أولاً : الثورة على التقاليد غير المعقولة .

ثانياً : إصلاح المجتمع إصلاحاً شاملاً ، سواء في عقائده الدينية أو في صلاته الاجتماعية .

وتحقيقاً لهذين الهدفين العظيمين ، كان مجمل ما تناوله القرآن من مقاصد ، تارة بالثورة عليه وتارة بالإصلاح هو المقاصد الأربع التالية .

أولاً : العقائد .

ثانياً : الواجبات الدينية .

ثالثاً : الأخلاق

رابعاً : الحقوق بجميع فروعها .

### الروح المتمكنة في الأهداف والمقاصد :

وإن هذه الثورة التي أعلنها القرآن ، وذلك الإصلاح الذي نادى به ، سواء في العقائد والواجبات والأخلاق والحقوق ، وقد تحكمت فيها جميعاً روح واحدة ، وفكرة سامية بارزة ، اجتمعت في المبادئ التالية .

أولاً : الدعوة إلى « الحياة » .

ثانياً : الدعوة إلى « الخير » .

ثالثاً : الأمر « بالمعروف » .

رابعاً : النهي عن « المنكر » .

خامساً : الاحتكام في كل ذلك إلى « العلم والعقل » .

ولقد تفنن القرآن في تقرير هذه المبادئ ، وفي الدعوة إلى مراعاتها في جميع الأهداف والمقاصد ، حتى بث في نفوس المؤمنين حينذاك ثورة على المنكر لم يُعهد لها نظير في التاريخ ، وبعث فيهم روح الدعوة إلى الحياة والخير ، وكون فيهم نزعة إلى الأمر بالمعروف بصورة جعلت نشاطهم في هذا المضمار أمراً عجباً ، وحملهم في ذلك على الاحتكام إلى العلم والعقل ؛ فقلب بذلك معدنهم ، وجعلهم بحق حينذاك خير أمة أخرجت للناس .

ولقد جاء في القرآن تقريراً للمبدأ الأول قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحبيكم » .

كما جاء فيه تقريراً للمبدأ الثاني والثالث والرابع قوله تعالى :

« ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير .

« ويأمرون بالمعروف ،

« وينهون عن المنكر .

وجاء فيه تقريراً للبدا الحامس قوله تعالى لنبيه : « قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة ، أنا ومن اتبعني » .

وقوله تعالى : « كذلك يفصل الله الآيات لقوم يعقلون » .

وقوله تعالى : « نفصل الآيات لقوم يعلمون » .

وقوله تعالى : « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » .

وقوله تعالى : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، إنما يتذكر أولو الألباب »

وقوله تعالى : « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ، قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه

آباءنا ، أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون » .

معنى الدين في القرآن :

إن ما نقلناه أعلاه من قليل من الآيات لرسم روح القرآن المتحركة في أهدافه ومقاصده ، يكشف لنا عن معنى للدين غريب اليوم عن مفاهيم أكثر الناس ، وهذا ما يجب التنبيه إليه منذ الآن .

لقد ذكر علماء الغرب تعاريف كثيرة للدين وقالت الموسوعة الفرنسية الكبرى للعلوم والآداب والصناعات<sup>(١)</sup> : « إن أحسن هذه التعاريف قبولاً هو التعريف الذي وضعه كوبليت دالفيلا Coblet d' Aviella حيث قال : « إن الدين هو الطريقة التي يحقق بها الإنسان صلاته مع قوى الغيب العلوية » ثم ذكرت الموسوعة تعريفاً آخر فقالت : وقد وضع جايكس دارمستتر James Dermestter تعريفاً فقال : « إن الدين هو ما يشتمل على كل معلوم وكل سلطة لا تتفق والعلم » .

وإننا إذا نظرنا إلى مفهوم الدين في القرآن ، على نحو ما قد أسلفناه من أهداف القرآن ومقاصده والروح المتحركة فيه رأينا أن الإسلام الذي سماه القرآن « ديناً » يختلف تمام الاختلاف عن مفهوم الدين المنقول من علماء الغرب ، والسيطر على مفاهيم أكثر الناس في هذه الأيام .

ذلك أن الإسلام ، وإن سماه القرآن ديناً عملاً بآخر آية نزلت منه وهي قوله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً » وهو

رغم ذلك قد تجاوز في أهدافه ومقاصده تلك الحدود الضيقة وغير المعقولة التي وضعها علماء الغرب للدين أو وضعوا الدين فيها .

لقد تجاوز الدين في مفهوم القرآن تلك الحدود من « صلات الإنسان مع قوى الغيب العلوية » إلى حدود أخرى أعطائها نفس الاهتمام ، ألا وهي « صلات الإنسان مع الإنسان » وفوق ذلك فقد حمل المخاطبين به على الاحتكام في كل تلك الصلات إلى « العلم والعقل » .

إننا إنما لفتنا النظر إلى هذه الفوارق الأساسية ما بين مفهوم الدين في القرآن ، وبين مفهومه لدى الغير ، لتجنب بذلك أعظم خطيئة وقع فيها كثير من علماء الغرب في نظرهم إلى الحقوق الإسلامية كحقوق دينية فحكموا عليها بالجمود .

ولعدم التمشي مع المصلحة ، بسبب ما عرفت من مفهومهم لمعنى الدين ، قال الأستاذ سانتيللانا Santillana « هناك رأى منتشر جداً يعتبر من العبث أن نحاول التوفيق ما بين حقوقنا وبين مذاهب الإسلام ، وأن مجموعة الأحكام الإسلامية غير قابلة الانسجام مع قواعدها ، وهي معادية لأفكارنا ، وأنها بلا شك غير أهل للتطور والتقدم ، وذلك على ما يزعمون بسبب طبيعتها الخاصة ألا وهي كونها قانوناً دينياً » .

ولقد شعر الأستاذ سانتيللانا بخطور هذا الخطأ المنتشر في أوروبا ، ولذلك عرضه ثم أخذ يرد عليه . غير أن ما نقلناه إليك آنفاً من روح القرآن المتحركة في أهدافه ومقاصده ما هو كاف وحده للرد على هذا المفهوم الخاطئ ؛ ولذلك فقد كان الرأى والعقل والقياس — وكل ذلك اسم للاجتهاد كما سنرى — أصلاً من أصول الفقه ، ومصدراً من مصادر الشريعة ، وهذا ما جعلها قابلة للسير مع مصالح المجتمع في العصور الماضية ، وأهلاً لكل توسع وازدهار .

### طريقة القرآن في التعبير :

إن للقرآن أسلوباً خاصاً في التعبير ، ومن لم يعرف هذا الأسلوب الخاص أخطأ كثيراً في فهم آيات القرآن ، ولم يدرك الصلة ما بين آية وبين أخرى .

وإذا عرفنا بأن هدف القرآن في بيانه إنما هو إصلاح المجتمع إصلاحاً كاملاً ، شاملاً لجميع نواحيه في العقائد والواجبات والأخلاق والحقوق ، عرفنا بالضرورة بأن القرآن لن يكون في أسلوبه وتعبيره كما نعهد في كتاب علمي خاص بفن واحد من هذه الفنون أو موضوع واحد من هذه المواضيع .



فليس موضوع القرآن العقائد وحدها ليأخذ في تبيانها واحدة بعد أخرى كما نعهد ذلك في كتاب من كتب العقائد .

وليس عشر من القرآن مقصوراً على الكلام في فن الأخلاق أو مختصاً بالبحث في علم الحقوق ، ليسير في عرضها على نحو ما عرفناه في الكتب الخاصة بالأخلاق أو بالحقوق ؛ وإنما الهدف في القرآن هو كما قد أشرنا إليه سابقاً « إصلاح المجتمع إصلاحاً عاماً شاملاً » ، فهو يتناوله مع جميع ما يتعلق بكل ناحية منه من مبادئ وقواعد .

فمن العبث إذن أن نفتش عن صلات ما بين الآيات في سورة كما لو كان الأمر في واحد فقط من هذه اللواضع في العقائد أو الواجبات أو الأخلاق أو الحقوق . وإنما نفتش عن هذه الصلات على ضوء مبدأ أو عدة مبادئ قد افتتحت بها السورة مستهدفة فيها إحدى الفكر العامة ؛ فعند ما يفتتح القرآن إحدى سورة ويستعد في مطلعها بمبدأ ، أو يندد بفكرة لا يلبث أن يتبع ذلك بآيات ، شرحاً وتقريراً حتى يأتي في ذلك على جميع ما يتعلق بالمبدأ والفكرة من عقائد أو واجبات أو أخلاق أو حقوق (١) .

ذلك هو أسلوب خاص بالقرآن ، وإن عدم الانتباه إليه هو الذي جعل الكثير من المستشرقين يعتقدون بأن لا صلة بين الآيات في كل سورة .

### الطابع العام لآيات الأوامر

إن القرآن هو الأصل الأول للحقوق والمصدر الأساسي لأحكامها ، وكل ما يأتي بعده إنما هو في الحقيقة متفرع عنه ، ومبنى عليه ، ومستمد من روحه (٢) .

لذلك كان أكثر ما ورد في القرآن من أحكام إنما هو أحكام كلية ، وقواعد عامة (٣) مما تجب مراعاته في القضاء ، ويجب الاعتماد عليه في الاجتهاد .

وإن هذا الطابع الكلي العام لآيات الأحكام هو الذي جعل القرآن في كثير من آياته محتاجاً إلى بيان النبي ورأيه ، وقد قال تعالى لنبيه : « وأنزلنا إليك الذكراً لتبين للناس ما نزل إليهم » وقال أيضاً : « إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله » .

(١) في تأييد ذلك ما جاء في كتاب المواقفات في أصول الشريعة لأبي إسحق الشاطبي الجزء الثالث

ص ٤١٢ — ٤٢٠ ، المطبعة الرحمانية ، طبعة أولى ، مصر .

(٢) كتاب المواقفات للشاطبي الجزء الثالث ص ٣٦٨ المطبعة الرحمانية طبعة أولى مصر .

(٣) كتاب المواقفات للشاطبي الجزء الثالث ص ٣٦٦ — ٣٦٨ المطبعة الرحمانية طبعة أولى مصر .

ولهذا فقد جاءت السنة النبوية إلى جانب القرآن ، وفيها بسط لمختصره ، وتفصيل لمجمله ، وبيان لمشكله (١) .

مصادر الحكم المقررة بها في القرآن :

إن أول مصدر للحكم والحقوق يعترف به القرآن هو آياته .

وبعد ذلك يعترف القرآن بمصدر ثان هو السنة النبوية فقد قال : « ما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » .

وإذا اعتبر القرآن السنة مصدراً من مصادر الحكم والحقوق ، فهو يعتبرها بجميع ما اعترفت به هي أيضاً من مصادر وذلك مثل الإجماع والاجتهاد — ومن الناس من يعتبر قوله تعالى : « لتحكم بين الناس بما أراك الله » اعترافاً أيضاً من القرآن بالرأى والاجتهاد (٢) كمصدر من مصادر الحكم والحقوق ، كما يعتبر أن قوله تعالى : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما نولى ونصله جهنم » هو اعتراف بالسنة والإجماع .

وهناك مصدر آخر يعترف به القرآن كمصدر من مصادر الحكم ، وذلك هو العرف عملاً بقوله تعالى : « وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » .

والعرف إذا لم يعتبره الفقهاء أصلاً خامساً من أصول الشريعة ، فذلك لأن الأعراف والعوائد ما هي إلا المصالح المعتبرة بين الناس ؛ وإن الشريعة ما تأسست إلا على اعتبار هذه المصالح (٣) . وإن اعتبار تلك العوائد والأعراف ضرورة شرعية (٤) تشهد لها أصول الشريعة الأربعة من كتاب وسنة وإجماع وقياس ، ولو لم تعتبرها لأدى ذلك إلى تعطيل المصالح وتكليف ما لا يطاق وذلك غير جائز ولا واقع في الشريعة الإسلامية .

(١) كتاب الموافقات للشاطبي الجزء الرابع صفحة ١٢ المطبعة الرحمانية ، مصر .

(٢) كتاب الموافقات للشاطبي الجزء الثالث ص ٣٦٨ المطبعة الرحمانية طبعة أولى ، مصر .

(٣) كتاب الموافقات للشاطبي ، الجزء الثاني ، ص ٢٠٧ — ٢٨٨ المطبعة الرحمانية ، طبعة أولى ، مصر .

(٤) كتاب الموافقات للشاطبي ، الجزء الثاني ، ص ٢٨٦ .

ولذلك فإن العرف بهذا الاعتبار هو من روح الشريعة الشهود له في أصولها الأربع ، وليس بأصل خامس مستقل عنها .

وإذا اعتبرت الشريعة الإسلامية العرف مصدراً من مصادر الأحكام ، فذلك ما لم يصطدم بنهى شرعى كما هو الشأن في تحريم الربا ، أو بمبدأ حقوقى مثل مبدأ « عدم حل أكل الأموال بالباطل » كما هو الشأن في تحريم بيع ثمار الأشجار قبل أن يظهر صلاحها (١) . مما كان معروفاً ومعتاداً عليه عند العرب قبل الإسلام ثم جاء الإسلام وحرمه .

### ... خليفة

كتب عدى بن أرطاه — عامل كان لعمر بن عبد العزيز — إليه .  
« أما بعد : فإن أناساً قبلنا لا يؤدون ما عليهم من الخراج حتى يحسمهم شيء من العذاب . »

فكتب إليه عمر . « أما بعد : فالعجب كل العجب من استئذانك إياى فى عذاب البشر ، كأنى جنة لك من عذاب الله ، وكأن رضى ينجيك من سخط الله . إذا أتاك كتابى هذا فمن أعطاك ما قبله عفواً وإلا فأحلفه فوالله لأن يلقوا الله بجناياتهم أحب إلى من أن ألقاهم بعذابهم والسلام . »

(١) صحيح البخارى كتاب البيع ، وبداية المجتهد لابن رشد الجزء الثانى ص ١٤٩

# شريعة القرآن دليل على أنه من عند الله

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبى زهرة

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة فؤاد

١ — بعث الله كل نبي من الأنبياء بمعجزة تشده لها العقول ؛ وتقف عندها القدرة البشرية ، فتعجز عن الإتيان بمثلها ، وتحمل من أنار الله بصيرته على الإذعان والتسليم ، والإيمان والاطمئنان . وكل معجزة تناسب العصر الذى بعث فيه النبي ، وتتفق مع ما تدركه عقولهم من حدود القدرة البشرية في موضوع المعجزة وذاتها وقد تكون علاجاً لحالهم ؛ فمعجزة موسى كانت في بلد أتقن السحر ، فجاءت من جنسه ، ومعجزة عيسى كانت في قوم خضعوا لحكم المادة ، ولم يعترفوا بغيرها ، فجاءت بمعجزته عليه السلام متجهة كلها لإثبات ما وراء المادة ، بل إن ولادته عليه السلام نفسها كانت من هذا النوع ؛ فهي وحدها برهان على سلطان الروح ، وتفكك الأسباب المادية ، وتراخيها عن مسبباتها ؛ ووجود تلك المسببات من غير قيام الأسباب .

٢ — ولقد كانت كل المعجزات التي حكيت عن النبيين السابقين معجزات مادية حسية تكشف عن معنى روحى ، وعن تنزيل سماوى ؛ فقد كانت تقرر الحس فيخضع ، وتبئد العقول فتتخنع ، فيذعن من أزال الله عن قلبه الغشاوة ، وينسكروا من غلبت عليه شقوته ، وعمت كل نواحي نفسه ضلالاته .

ولكن معجزة محمد صلى الله عليه وسلم لم تكن مادة تقرر ، ولا أمراً حسياً ترى العيون إعجازه رأى العيان ، بل كانت أمراً معنوياً تتأمله العقول والأفهام ، وتتعرفه المدارك البشرية في كل الأزمان ، ولم يفقد حجتيه ولم يُزل إعجازه كر الغداة ومر العشى .

٣ — وهنا يثور بادرى الرأى ؛ ويلمح النظر سؤال لماذا كانت معجزة محمد صلى الله عليه وسلم أمراً معنوياً ، والمعجزات السابقة أموراً حسية ؛ أو لماذا كانت معجزة محمد كلاماً متلوّاً ، ومعجزات غيره وقائع مادية ؟

إن الجواب عن ذلك السؤال مشتق من شريعة محمد ذاتها ، ومن حقيقة القرآن الكريم ؛ فشريعة محمد صلى الله عليه وسلم خالدة باقية خوطبت بها الأجيال من مبعثه عليه السلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ؛ وقد خوطب بها الناس جميعاً في كل بقاع



الأرض مهما اختلفت أجناسهم ، وتباينت أقاليمهم ، وتضاربت عاداتهم . فكان لا بد أن تكون معجزة النبي صلى الله عليه وسلم متفقة مع هذا العموم ، ومتلائمة مع هذا الخلود ؛ ولا يمكن أن تكون كذلك إذا كانت وقائع مادية تنقض بانقضاء وقتها ، ولا يعلم بها علم اليقين إلا من عاينها ؛ فالنار التي ألقى فيها خليل الله إبراهيم ولم تحرقه لم يعلمها علم اليقين إلا الذين رأوها ، وعصا موسى التي انقلبت حية تسمى ، وتلقف ما يأفكون لم يعلمها علماً جازماً إلا الذين شاهدوها ، وإبراء عيسى للأكمة والأبرص لم يعلم به إلا الذين لمسوه .

أما معجزة محمد فهي ذلك القرآن المتلو المشتمل على الشريعة المحكمة وهو باق يُرى ويتلى إلى يوم القيامة فيعلم حقيقته من التقي بالنبي صلى الله عليه وسلم وعائنه وخطابه ، ومن جاء بعد عصر الرسول عليه السلام بعشرة قرون ، بل بعشرات القرون إن امتد عمر الإنسان في هذه الأرض عشرات القرون ، ولقد حفظه منزله في الأجيال كما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم : « إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون »

فالناس في كل الأجيال بعد محمد عليه السلام يرون معجزته رأى العيان ، كمن شاهدوا محمداً وخطبوه . وإن كان لهؤلاء الصحب الكرام فضل علم فهو مشتق من مشافهة النبي صلى الله عليه وسلم خطابه ، والتحدث إليه ؛ وهو مشرق الحق ومصدر العرفان ؛ وروح الهدى ؛ ونور الوجوه .

وإذا كانت الأجيال كلها ترى تلك المعجزة وتفهما فهي حجة الله القائمة عليها ؛ فإن ضلت لا تضل عن جهالة ، ولا عن نقص في البينات ، ولا عن شك في الأمر ؛ بل عن عمى في البصيرة ، وتحكم الهوى ، وسيطرة الأوهام .

٤ — ولقد تكلم العلماء قديماً وحديثاً في موضع الإعجاز في القرآن معجزة النبي صلى الله عليه وسلم الكبرى ، فمن قائل إنه ما اشتمل عليه من قصص صادقة لم يعلمها النبي الأمي عن غير طريق الوحي ؛ إذ لم يجلس إلى معلم ، ولم يتعلم ، ولم يكن كثير الرحلة حتى ينال نلم التجربة بالأسفار ؛ بل لم يتجاوز بطحاء مكة إلا مرتين إحداها في الثانية عشرة ، والثانية في نحو الخامسة والعشرين ؛ فصداقها مع هذه الأمية دليل على أنها من عند الله .

ومن قائل إن الإعجاز في اشتماله على حقائق علمية كونية لم يصل إليها العقل البشري إلا بعد قرون ، وقد جاءت في القرآن على لسان نبي أمي لم يتعلم ولم يجلس إلى معلم كما بينا ؛ ومن قائل إن ذلك الإعجاز في أسلوب القرآن ونعمه ونسقه ، وعلى ذلك أكثره ،

وهو ما نوصي إليه عبارات القرآن الكريم ؛ فقد تحدثنا أن يأتوا بعشر سور من مثله ولو مفتريات ، فمعجزوا فكان أسلوب القرآن معجزاً لا ريب في ذلك .

٥ — ونحن نرى أن كل ما ذكره العلماء سبباً لإعجاز القرآن هو بلا ريب من أسبابه ، غير أن سبباً واحداً لم نر العلماء قد ذكروه ، ونراه من أقوى الأسباب ، أو هو يعدل أقواها ، إن لم يكن أقواها جميعاً ؛ وبه القرآن يكون معجزاً لكل الناس لا للعرب وحدهم ، ولا لجيل من الأجيال ، بل يكون معجزاً للأجيال كلها ؛ ألا وهو شريعة القرآن ، فما اشتمل عليه القرآن من أحكام ، سواء ما كان منها يتعلق بالأسرة أو ما يتعلق بالمجتمع ؛ وما يتعلق بالعلاقة الدولية فريد في بابه لم يسبقه شرع سابق ، ولم يلحق بما وصل إليه شرع لاحق ؛ وإذا كان ذلك كله قد جاء على لسان أمي لا يقرأ ولا يكتب ، لم يتعلم قط لا بالقلم والقرطاس ، ولا بالتلقين والتوقيف ، ولا بالتجربة والأسفار ؛ إن ذلك هو الإعجاز الذي تتيه العقول في تعرف سببه إلا أن يكون ذلك من عند الله العلي الحكيم ؛ وكذلك قال الرسول صلوات الله وسلامه عليه .

٦ — هذا كلام إجمالي ، وهو يحتاج إلى بعض من البيان ؛ ولأجل أن تبين قيمة ذلك الشرع في ذاته ، ونظر الناس يحذر بنا أن نرجع إلى الماضي السحيق ، ونتطلع إلى المستقبل البعيد .

أما في الماضي فنجد أن الشرع الذي اقترن بظهور محمد الرسول الأمين هو قانون الرومان ؛ فقد كان الشرع المسيطر في التطبيقات العملية والقضائية في مصر والشام وغيرها من البلدان التي تصاب البلاد العربية وتحيط بها من الغرب والشمال ، ويقول علماء القانون اليوم إنه من أكمل الشرائع التي تفتق عنها العقلي البشري ، ولا زال يعتبر أصلاً لكثير من الشرائع القائمة انفرعت من أصوله وقامت على دعائمه .

وإن من يريد أن يعرف منزلة الشريعة الإسلامية ، وأنها في درجة فوق مستوى العقل البشري فليوازن بينها وبين ذلك القانون الروماني ، لأن قانون الرومان قد استوى على سوقه ، وبلغ نهاية كماله في عهد جوستنيان سنة ٥٢٩ بعد ميلاد المسيح عليه السلام ، وهو في هذا الوقت كان صفوة القوانين السابقة ، وفيه علاج لعيوبها ، وسد لحللها . من يوم أن أنشئت روما سنة ٧٤٤ قبل الميلاد إلى سنة ٥٣٣ بعده ، أي أنه ثمة تجارب قانونية لنحو ثلاثة عشر قرناً ظهرت فيها الفلسفة اليونانية ، وبلغت أوجها ؛ وقد استعانوا في تلك التجارب القانونية بقوانين سولون لأثينا ، وقوانين ليكورغ لإسبارطة والنظم اليونانية عامة ، والمناهج النظامية والفلسفية التي فكر فيها الفلاسفة اليونان لبيان أمثل

النظم التي يقوم عليها المجتمع الفاضل ؛ كالذي جاء في كتاب القانون وكتاب الجمهورية لأفلاطون ، وكتاب السياسة لأرسطو وغيرها من ثمرات عقول الفلاسفة والعلماء في عهد اليونان والرومان .

وإن شئت فقل إن القانون الروماني هو خلاصة ما وصل إليه العقل البشري في مدى ثلاثة عشر قرناً ، في تنظيم الحقوق والواجبات ، فإذا وازنا بينه وبين ما جاء على لسان محمد النبي الأُمي ، وأنتجت الموازنة أن العدل فيما قاله محمد ، وما استنبط الفقهاء من بعده يكون من الحق علينا أن نقول إن أساس شريعة محمد ليس من صنع بشر إنه صنع العليم الحكيم اللطيف الخبير سبحانه .

٧ — وفي أي جانب اخترت الموازنة بين ما اشتمل عليه القرآن ، وما اشتملت عليه الشرائع التي سبقتة أو عاصرتة بذلك الفرق ما بين السمو الروحي ، والأخلاق الأرضية .

فمن ناحية المساواة القانونية نجد الشريعة قد وصلت إلى أعلى درجاتها بينما القوانين التي عاصرتها لم تعترف بأصلها ؛ فالقرآن يقول : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » والشرائع التي سبقتة وعاصرتة لم تعرف تلك المساواة بين الأجناس والألوان ، بل لم تعرف المساواة بين آحاد الأمة الواحدة .

وبينما شريعة القرآن تخفف عقوبة الأرقاء فتجعل عقوبتهم نصف عقوبة الحر ، نجد قانون الرومان يضاعف عقوبة الضعفاء ؛ فالقرآن يقول في الإماء : « فإذا أحسن ، فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب » وكذلك العبد إن أتى بفاحشة فعقوبته نصف عقوبة الحر .

ولكن قانون الرومان يقول : « ومن يستهوى أرملة مستقيمة أو عذراء فعقوبته إن كان من بيثة كريمة مصادرة نصف ماله ، وإن كان من بيثة ذميمة فعقوبته الجلد والنفي من الأرض »<sup>(١)</sup>

وإن النظر العادل يقر بالبدهة نظر شريعة القرآن ؛ لأن العقوبات يجب أن تسير بنسبة تصاعدية مع الأشخاص ، لا بنسبة عكسية فتكبر جريمة الكبير ، وتصغر عقوبة

(١) مدونة جوستنيان ص ٣١٧ ترجمة المرحوم الأستاذ عبد العزيز فهمي باشا .

الصغير، لأنه إذا هانت النفس على صاحبها سهل عليه الوقوع في الجرائم؛ فكان التخفيف، وإذا كبرت قيمة الرجل في أعين الناس كانت عليه تبعات بمقدار عظمتها، وكانت صغائر كباثر، وتضاعفت العقوبة؛ فالجاء والثروة وغيرها ليست متعا خالصة خالية من تبعات، بل عليها تبعات بقدرها.

وإن القوانين التي تسير عكسا لا طردا كالقانون الروماني قوانين ظالمة تحيف، لأنها تستمد منطقها من القوة الغالبة؛ فكلما كان الشخص من ذوى الجاه ضغت عقوبته، وكلما كان من الضعفاء زادت من عقوبته؛ فهو يحمي الشريف، ولا يحمي الضعيف. وقد سمي القرآن ذلك حكم الجاهلية؛ ولذا قال الله في حق اليهود عندما طلبوا أن يحكم النبي على الشريف الزاني بغير العقوبة المقررة: «أحكم الجاهلية يبغون. ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون»

ولقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنما أهلك الدين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف قطعوه، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»

٨ — ولقد كان الضعيف مأكولا ضائعا، والفقير بائسا جائعا، حتى جاء الإسلام فشرع قانون الزكاة، وجعلها حقا معلوما في مال الغني، لا يخلص له إلا بعد إعطائها حتى لقد قال الشافعي رضي الله عنه: إن الغني إذا وجبت الزكاة في مال معين له كان غير مالك للجزء الذي يقابلها، ولذلك إذا تصرف فيه من غير إخراجها يكون تصرفه باطلا وإذا مات من غير أن يؤدي ما وجب عليه من زكاة أخذت من تركته، وقدمت على سائر الديون عند الشافعي رضي الله عنه.

ولم يعتبر الإسلام الزكاة إحسانا مذلا، بل أوجبها على الأغنياء يقبضها ولي الأمر بالنيابة عن الفقراء، ويوزعها عليهم كل بمقدار حاجته. ولقد هم عمر رضي الله عنه عام وفاته أن يمر على الأقاليم بنفسه ليوزع على الفقراء حقوقهم في بيت المال؛ كل بمقدار حاجته، وكل بمقدار عياله؛ ومن كان له حق في بيت المال غير الزكاة كان له عطاء بمقدار بلائه وعنائه في الإسلام.

٩ — وبينما كان قانون الرومان في بعض أدواره يجعل الدائن يسترق المدين إن عجز عن الوفاء؛ كان القرآن الذي نطق به النبي الأمي وقد نزل عليه من عند الله، يقرر أن الحكومة تسدد ديون المدينين الذين يعجزون عن الوفاء بديونهم إذا لم تكن



الاستدانة سرفاً ؛ بل يكون على ولى الأمر سداد الديون التى يستدينها ذوو اللروات للمقاصد الاجتماعية كالصلح بين الناس ، فتسدد من بيت المال ولو كان المدينون غير عاجزين عجزاً كلياً عن سدادها .

ويؤدى هذا كله من مال الزكاة كما نص القرآن الكريم .

إنى أحسب أن هذه مثل عليا لم يصل إليها بعد قانون من قوانين البشر ؛ فإذا كان الذى جاء بهذا رجلاً أمياً لا يقرأ ولا يكتب ولم يتعلم قط ، ألا يكون هذا دليلاً على أن ما جاء به من عند الله العلى القدير ؟

١٠ — ولقد كان الرق حقيقة مقرره ثابتة . أقر فلاسفة اليونان نظامه ، واعتبروه نظاماً عادلاً لا ظلم فيه ، ولم تستنكره شريعة من الشرائع قط ، وقرر أرسطو أن الرق نظام الفطرة ؛ لأن من الناس ناساً لا يمكن أن يعيشوا إلا أرقاء ، وآخرين لا يكونون إلا أحراراً .

جاء النبي الأمى وقال : « الناس سواسية كأسناس المشط » وقال : « كلكم لآدم وادم من تراب » ولم يسجل القرآن الرق فى محكم آياته ؛ بل سجل العتق ؛ فلم يرد فى القرآن نص قط يبيح الرق ، بل نصوصه كلها توجب العتق ؛ حتى إنه فى حرب الإسلام العادلة لم يذكر القرآن رق الأسرى ، بل قال : « حتى إذا أئتمتموهم فشدوا الوثاق ، فإما منا بعد ، وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها » فلم يذكر فى الأسرى إلا المن عليهم بإطلاقهم أو فداءهم بالمال إن كان فى قومهم قدرة على الفداء .

ولقد وسع القرآن فى أسباب العتق ؛ وفتح باب الحرية الإنسانية على مصراعيه ، واعتبره قرينة ولو كان الرقيق غير مسلم ، فقال : « فلا اقتحم العقبة ، وما أدراك ما العقبة فك رقبة » وأوجب على من يفطر فى رمضان عامداً من غير عذر عتق رقبة ، ومن يحلف ويحنث عتق رقبة ، ومن يجرى على لسانه عبارة لامراته يشبهها بأمه عليه عتق رقبة ، ومن يقتل مؤمناً خطأ عليه عتق رقبة ، وإذا طلب العبد عتقه فى نظير أن يؤدى ثمنه — مثلاً — كاتبه مولاة على ذلك وتركه ليكسب ثمنه ، ومن ملك بعض محارمه عتق عليه ، ومن ضرب عبده ظمناً فكفارته عتقه ؛ . . . وهكذا تعددت أسباب العتق ، حتى إنها لو نفذت كلها لا يبقى رقيق فى دار الإسلام أكثر من سنة .

كل هذا فى زمن أهملت فيه حقوق الإنسان ؛ فإذا كان هذا بعض ما اشتمل عليه القرآن ألا يكون دليلاً على أنه من عند الرحمن ؟

ونكتفى بهذا القدر ، وقد نعرض للأسرة والميراث والتعامل ليعرف الناس كيف

سبق القرآن كل ما وصل إليه عقل الإنسان .

# السنة

## لفضيلة الأستاذ الشيخ مصطفى السباعي

نحن في عصر اضطربت فيه النظم العالمية الكبرى ، وعجزت عن إيجاد السلام والرخاء لشعوب العالم . ومهما يكن في قادة الأمم المسيطرة من عيوب أدت إلى هذا الاضطراب ، فإن الذي لا ريب فيه عندنا أن الأسباب المباشرة لشقاء العالم هي تلك النظم التي لم تثبت حتى الآن صلاحها لحل مشاكل الإنسانية على وجه يريحها من الحروب والمنازعات ، ويُبعداها عن جو القلق الذي تعيش به في أعقاب الحروب العالمية الدامية ، بعد أن كانت تعيش خلال الحروب في جو قاتم من الدماء والدمار والحرب .

وعقيدتنا نحن المسلمين أن لا مناص لهذا العالم إن أراد لنفسه السعادة والسلام ، من الرجوع إلى تعاليم الله الصافية الخالصة من التحريف والتلاعب والتبديل والتغيير ، والتي جاءت رسالة الإسلام متجسدة لها ومعبرة عن رسالتها أوفى تعبير وأدقه وأوسعها وأكثرهم راناً ومسيرة للعصور ، وتحقيقاً لحاجة بني الإنسان على اختلاف ديارهم وأزمانهم .

وشريعة الإسلام في مصادرها الأولى ، وفي بحوث فقهاءها وأئمتها ، رحية الفناء واسعة النهج تتسع لكل حادثة وتحل كل مشكلة ، وتقيم موازين القسط بين الأفراد والجماعات والحكومات ، وتؤمن للدولة الشعب الطائع اليقظ الراقى المتحفز ، وللدنيا الدولة العادلة المسالمة التي تجنح للسلم حين يجنح له غيرها ، وتذود عن كرامة العقيدة والأخلاق والحرية الصادقة حين يميل إلى العدوان عليها معتد أثيم أو باغ ماكر .

ومصادر التشريع الإسلامي معروفة لدى المسلمين موثوقة محفوظة ، ولا شك أن السنة المطهرة وهي ثانية هذه المصادر أوسعها فروعا وأحفلها نظما وأرحبها صدراً . إذ كان كتاب الله الكريم متضمناً للقواعد العامة في التشريع والأحكام الكلية في الغالب ؛ مما جعله خالداً خلود الحق . بيد أن السنة الكريمة عنيت بشرح هذه القواعد وتبيين تلك النظم وتفريع الجزئيات على الكليات مما يعرفه كل من درس السنة دراسة وافية ، ومن ثمة لم يكن للمشرعين من علماء الإسلام مندوحة من الاعتماد على السنة واللجوء إليها والعناية بها والاسترشاد بأحكامها المنصوصة على أحكام الحوادث الطارئة .

ولقد تعرضت السنة في القديم لهجمات بعض الفرق الإسلامية الخارجة عن سنن الحق ، لشبهات طارئة لم تجد في نفوس أتباعها ما يدفعها ، كما تعرضت في العصر الحاضر لهجمات بعض المستشرقين من دعاة التبشير والاستعمار ، ابتغاء الفتنة وابتغاء هدم هذا الركن المتين من أركان التشريع الإسلامي الوارف الظلال ، وتابعهم في ذلك بعض المؤلفين من أبناء أمتنا اغتراراً بما يضيفه أولئك المستشرقون على بحوثهم من زخارف علمية لا تثبت أمام النقد العلمي التزيه ، واندفاعاً وراء ميول نفسية وشبهات فكرية لم يحاولوا تمحيصها على ضوء ما بين أيديهم من تراث السلف وبحوث العلماء الراسخين ، فصادف رأى المستشرقين في السنة هوى كامن في نفوس هؤلاء فضربوا على ذلك الوتر وغنوا بذلك الحداء :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا . . . لذلك رأيت أن أعالج هذا البحث عن السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي مبيناً الأدوار التاريخية التي اجتازتها ، وجهود علماء الإسلام في صيانتها وتمحيصها ، مناقشاً ما أورده المتحاملون عليها في القديم والحديث بروح علمية هادئة ليستبين به وجه الحق وتنضح به طلعة السنة المطهرة بيضاء مشرقة ، وأختمه بشذرات من تاريخ أشهر علماء الإسلام من مجتهدين ومحدثين ممن لهم دور بارز في حفظ السنة وتدوينها وفي استنباط الأحكام الشرعية من مصادرها .

## الباب الأول

### الفصل الأول

معنى السنة وتعريفها :

السنة في اللغة الطريقة محمودة كانت أو مذمومة ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة »<sup>(١)</sup> ومنه حديث « لتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع »<sup>(٢)</sup> .

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه الشيخان .

وهي في اصطلاح المحدثين ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو سيرة ، سواء أ كان من قبل البعثة أو بعدها<sup>(١)</sup> وهي بهذا ترادف الحديث عند بعضهم .

وفي اصطلاح الأصوليين ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير ؛ فمثال القول ما تحدث به في مختلف المناسبات مما يتعلق بتشريع الأحكام كقوله صلى الله عليه وسلم : « إنما الأعمال<sup>(٢)</sup> بالنيات » وقوله « لا وصية لوارث<sup>(٣)</sup> » ومثال الفعل ما نقله الصحابة من أفعال عن النبي صلى الله عليه وسلم في شئون العبادة وغيرها كأداء الصلوات ومناسك الحج وآداب الصيام وقضائه بالشاهد واليمين ، ومثال التقرير ما أقره الرسول صلى الله عليه وسلم من أفعال صدرت عن بعض أصحابه بسكوت منه مع دلالة الرضا أو بإظهار استحسان وتأيد ؛ فمن الأول إقراره عليه الصلاة والسلام لاجتهاد الصحابة في أمر صلاة العصر في غزوة بني قريظة حين قال : « لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة » فقد فهم بعضهم هذا النهي على حقيقته فأخروا إلى ما بعد المغرب وفهمه بعضهم على أن المقصود حث الصحابة على الإسراع فصلاها في وقتها ، وبلغ النبي ما فعل الفريقان فأقرها ولم ينكر عليهما ، ومن الثاني ما روى أن خالد بن الوليد رضي الله عنه أكل ضبا قدم إلى النبي صلى الله عليه وسلم دون أن يأكل النبي صلى الله عليه وسلم منه فقال له بعض الصحابة أو يحرم أكله يا رسول الله ؟ قال : « لا ولكنه ليس في أرض قومي فأجدني أعافه » .

وقد تطلق السنة عندهم على ما دل عليه دليل شرعي سواء كان ذلك في الكتاب العزيز أو عن النبي صلى الله عليه وسلم أو اجتهد فيه الصحابة كجمع المصحف وحمل الناس على القراءة بحرف وتدوين الدواوين ، ويقابل ذلك « البدعة » ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين<sup>(٤)</sup> من بعدى » .

وفي اصطلاح الفقهاء ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير افتراض ولا وجوب وتقابل الواجب وغيره من الأحكام الخمسة ، وقد تطلق عندهم بما يقابل البدعة ومنه قولهم طلاق السنة كذا وطلاق<sup>(٥)</sup> البدعة كذا .

(١) قواعد التحديث ٣٥ — ٣٥ وتوجيه النظر ص ٢ . (٢) أخرجه الشيخان .

(٣) أخرجه الدارقطني عن جابر ، وهو حديث مشهور حتى ادعى ابن حزم أنه متواتر .

(٤) الموافقات ج ٤ ص ٤ والحديث أخرجه أبو داود والترمذي .

(٥) إرشاد الفحول ص ٣١ .



ومرد هذا الاختلاف في الاصطلاح إلى اختلافهم في الأغراض التي تعنى بها كل فئة من أهل العلم .

فعلماء الحديث إنما بحثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الإمام الهادي الذي أخبر الله عنه أنه أسوة لنا وقدوة ؛ فنقلوا كل ما يتصل به من سيرة وخلق وشمائل وأخبار وأقوال وأفعال سواء أثبت ذلك حكماً شرعياً أم لا .

وعلماء الأصول إنما بحثوا عن رسول الله المشرع الذي يضع القواعد للمجتهدين من بعده ويبين للناس دستور الحياة ؛ فعنوا بأقواله وأفعاله وتقريراته التي تثبت الأحكام وتقرر بها .

وعلماء الفقه إنما بحثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا تخرج أفعاله عن الدلالة على حكم شرعي وهم يبحثون عن حكم الشرع على أفعال العباد وجوباً أو حرمة أو إباحة أو غير ذلك .

ونحن هنا نريد بالسنة ما عناه الأصوليون لأنها هي التي تبحث عن حجيتها ومكانتها في التشريع ، وإن كنا تعرضنا لإثبات السنة وتاريخها بالمعنى الأعم الذي عناه المحدثون .  
( يتبع )

## رهبانية...

روى أحمد عن أنس بن مالك قال قال صلى الله عليه وسلم : « لكل نبي رهبانية ، ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله عز وجل » .

# المؤتمر الدولي للقانون المقارن

يعترف للشرعة الإسلامية

بمروستها القانونية وتلبية حاجات العصر

ينعقد المؤتمر الدولي للقانون المقارن مرة في كل أربع سنوات وله شعب منها شعبة الشرائع الشرقية . وقد قرر في دورته الماضية بلندن أن تخصص شعبته الشرقية أسبوعاً للشرعة الإسلامية ، وعقدت هذه الشعبة جلستها تنفيذاً للقرار في باريس واشترك فيها كبار أساتذة القانون في الشرق والغرب ورأسها الأستاذ ميو الأستاذ بجامعة باريس ، واتخذت في جلستها النهائية يوم ٧ يوليو ١٩٥١ القرار الإجماعي التاريخي الآتي :

« إن المؤتمرين - وقد أبدوا الاهتمام بالمشاكل المثارة أثناء أسبوع القانون الإسلامي وما جرى في شأنها من مناقشات أوضحت بجلاء ما لمبادئ القانون الإسلامي من قيمة لا تقبل الجدل ، كما أوضحت أن تعدد المدارس والمذاهب داخل هذا النظام القانوني الكبير إنما يدل على ثروة من النظريات القانونية والفن البديع وكل هذا يمكن هذا القانون من تلبية جميع حاجيات الحياة العصرية - يبدون الرغبة في أن يواصل الأسبوع أعماله كل سنة ، ويكلف مكتب الأسبوع بوضع لائحة بالموضوعات التي يجب - عقب المناقشات التي جرت خلال الأسبوع - أن تكون موضع البحث أثناء الدورة القادمة ، ويرجون تأليف لجنة لوضع ( قاموس ) للقانون الإسلامي من شأنه أن يسهل الإقبال على تأليف القانون الإسلامي وأن يكون موسوعة للمعارف القانونية الإسلامية مرتبة حسب الأساليب العصرية . »

SEMAINE DE DROIT MUSULMAN  
PARIS 2-7 JUILLET 1951

VOEU ADOPTE A L'UNANIMITE DANS LA SEANCE FINALE  
DU 7 JUILLET 1951

Les Congressseistes,

Etant donné l'intérêt suscité par les problèmes évoqués au cours de la SEMAINE DE DROIT MUSULMAN et par les discussions auxquelles ils ont donné lieu, dont il est résulté clairement que les principes du droit musulman ont une valeur indiscutable et que la variété des écoles à l'intérieur de ce grand système juridique implique une richesse de notions juridiques et de technique remarquables, qui permet à ce droit de répondre à tous les besoins d'adaptation exigés par la vie moderne.

Emettent le vœu que la SEMAINE poursuive ses travaux d'année en année.

Chargent le Bureau de la SEMAINE d'établir la liste des sujets qui, à la suite des discussions ayant eu lieu au cours de la SEMAINE, devront faire l'objet d'un examen au cours de la session prochaine.

Souhaitent qu'un Comité soit formé pour établir un dictionnaire de droit musulman destiné à faciliter l'accès aux ouvrages de droit musulman et constituant un répertoire des connaissances, juridiques musulmanes, exposées suivant les méthodes modernes.

# حكم بلاسية

للأستاذ محمود محمد شاكر

يوشك تاريخ الإسلام أن يصبح لهوآ على الألسنة ، ولغوآ في الصحف ، ومرتماً للظن المتسرع دون اليقين المثبت ، وهدفاً لكل متفحم على الحق بمثل جراءة الباطل ، ومخاضة يغوص فيها كل من ملك لساناً ينطق ، أو عقلاً يفكر ، أو قلماً يخط . وإنما ابتلى زماننا بهذا لأسباب كثيرة ، أولها : أن العصر الذي نعيش فيه يُعجل الناس عن تحقيق معنى الدين نفسه في حقيقة قلوبهم . وآخرها : أن المسلمين في زماننا بلغوا من العجز والقلة والهوان على أنفسهم مبلغاً مهدد لشرائط الإنس والجن مسالك كثيرة إلى مقر الغرور في بعض الأفئدة ، فسول لأصحابها فيما يسول أن افهموا الإسلام « فهماً جديداً » ، فكان لهذه الكلمة سحرها حين مست مكان الغرور والكبرياء من نفوسهم ، واحتملهم هذا الغرور على أن يسيثوا الظن بما يفهمون من ماضيهم ، جله أو كله ، وخيل إليهم سوء الظن أن ذلك هو طريق الحق لإحياء دين الله في نفوسهم وإقامة شريعته في أرضه . ثم خرج بهم مخرجاً أوقع في أوهامهم أنهم قادرون على أن يجددوا أمر هذا الدين ، بمجرد النظرة الحاطفة المعتسفة في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وفي تاريخ أسلافهم من المسلمين .

ولا أظنني أخطئ شيئاً في التقدير إذا زعمت أن هذه النابتة ، لم يبتل الإسلام بمثلها قط ، على كثرة ما انتابه من النوابت المتتابعة على مدى عصوره كلها ؛ في حال بأسه وسطوته ، وفي حال ضعفه وفترته . وهي عندى أخطر النوابت جميعاً وأخوفها على دين الله ، لأنها نجمت في عصر قد حطم جميع القيم الإنسانية العتيقة ، ودمر تراث الأخلاق التي فطر عليها ولد آدم في الآباد المتطاولة . ولا أسوء الظن فأدعى أنهم يأتون ما يأتون عن عمد ، بل أقول إن وباء هذا العصر قد أصابهم ، منذ نقله الاستعمار إلى الأرض المسلة ، فنشوا فيه لا يكادون يحسون بالذى أصابهم من آفاته ، فاتهم تفكيرهم من أجل ذلك بسمة التحطيم والتدمير ، وسمة الغلو والجراءة ، وسمة الإصرار على تحقيق معاني الغرور الإنساني في أعمال الإنسان ، وأولها الفكر .



وقد تفشت في أهل الإسلام منذ زمن قريب فاشية شديدة الخطر على تاريخ الإسلام كله ، بل على دين الله نفسه . نظرت متعجلة في دين ربها ، وخطفت خطفة في تاريخ أسلافها ، ثم انزعجت من ذلك كله حكما يدهغ المسلمين جميعا منذ القرون الأولى من الهجرة ، باطراح الدين واتباع الشهوات ، فزعمت مثلا : أن الإسلام لم يطبق ولم يعمل به إلا مدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومدة أبي بكر خليفة رسول الله ، ومدة عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ، ثم مرج أمر الإسلام واضطرب ! .

والخطأ في مثل هذا الحكم الدامغ يكبر عن أن يسمى خطأ ؛ إنه الخالقة : خالقة الدين لا خالقة الشر ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تستأصل دين الصحابة والتابعين ، وتستأصل أمانتهم في تبليغه ، وتستأصل ما بذلوه في نشره في مشارق الأرض ومغاربها ، وتستأصل تاريخهم ، وتستأصل تاريخ الحياة الإسلامية كلها ثلاثة عشر قرناً ؛ فيألفها من بلوى تستهلك دين امرئ إذا نطق بها ، وتخسف بتقوى سامع إذا لم ينكرها ؛ ورد مثل هذه المقالة ، يوجب على منكرها أحد طريقين : إما أن يسرد على القائل بها تاريخ الإسلام كله بجميع تفاصيله ، ويقف به على موضع موضع منها ، وهذا شيء لا يتيسر في كتاب واحد ، فضلا عن مقالة ، فضلا عن حديث . وإما أن يقفه على فسادها في صريح العقل ، ويبين له ما تقضى إليه من بهت أمة كاملة ، بل أم بأسرها ، بشيء لا يستطيع عاقل أن يحتمل وزره في فكره وتقواه ودينه . وهذا هو أيسر الطريقين ، وأقربهما إلى تصحيح المقاييس ، وإلى إقامة التفكير على أصل واضح وثيق .

\*\*\*

وكلمة « الإسلام » كلمة شاملة لدين الله كله ، وإذا دخلت في حكم قاطع كهذا الحكم « إن الإسلام لم يطبق إلا مدة رسول الله وأبي بكر وعمر » صار حكما شاملا بطبيعته ، فإذا ألقى إلى سامع ، لم يجد عندئذ مناصا في العقل ولا في اللغة ولا في البيان ، من تعميم الحكم في كل ما يتناوله لفظ « الإسلام » ؛ فإذا استمع سامع كأهل زماننا الذين وصفنا قبل ، كان هذا الحكم ظلا كشيئا قائما كشيئا يلقي على العصور الأولى كلها من قتامة وكآبته ، يدفع إلى الاستخفاف والتحقير والغلو في التهزؤ بأهل هذه العصور ، والشك في أمورهم ، ويعميه عن معرفة الحقائق ، ويصرفه إلى البحث عن المثالب يتسرع إليها ويتعممها من كل كتاب ومن كل خبر ، والناس أسرع شيء إلى سوء الظن ، فإذا كان سوء الظن والتلب والتحقير مما يعينهم على نسبة القدرة والصلاح والعلم والفقہ إلى أنفسهم فهم عندئذ أسرع إليه من السيل إلى الحدور . وإذا كانت نسبة الصلاح والعلم إلى أنفسهم مدعاة إلى صرف أنظار الناس إليهم بالتسليم والتبجيل والإعجاب ، فسوء الظن

والثلب والتحقير ، أسرع في عقولهم وألسنتهم من النار المتضرمة في الهشيم اليابس ، وماذا بعد هذه البلوى ، إلا أن يصبح تاريخ الأمة المسلمة منذ اليوم السابع والعشرين من ذى الحجة سنة ٢٣ من الهجرة ( منذ قتل عمر ) إلى يوم الناس هذا في سنة ١٣٧١ وقوداً للكلمة يزل بها لسان ، ويتبجح بها صوت ، وتستخفها أذن ؟ أى إنسان يرضى لنفسه هذه الظنة الجائحة ، فضلاً عن إنسان عاقل ، فضلاً عن مسلم ، فضلاً عن مسلم يتقى الله ، يرجو رحمته ، ويخاف عذابه ؟

قتل عمر وخلف أئمة الصحابة ، فعاشوا زمن عثمان ، وزمن علي ، وزمن معاوية رضى الله عنهم ، وبقيت منهم بقية في عصر الأوائل من بنى أمية ، ثم خلفهم الذين اتبعوهم بإحسان من علماء الأمة وفقهائها وأهل دينها ، وهم متوافرون يومئذ إلى أوائل عصر بنى العباس ، وكانوا هم علماء الأمة ، وورثة النبوة ، القائمون ببث دين الله في الأرض ، الآمرون بالمعروف ، والناهون عن المنكر ، المبلغون عن نبي الله ورسوله ، وعن أصحابه هذا الدين إلى الناس . وبهم بلغت المسلمون هذا الأمر كله ، وبما بلغونا من أمر الدين قامت حجة الله علينا ، وإلى ما بلغوا كان مرجع أئمة المسلمين وفقهائهم وعلمائهم طول هذه القرون . ولولا هم ، ولولا ما بلغوا لدرست سنة رسول الله ، ولذهب الفقه ، ولفقد الناس الحجة والبرهان في دينهم ، ولما وجدوا وسيلة لتحكيم الله وتحكيم رسوله في شيء مما اختلف فيه من أمر الدين ، أفيمكن في العقل أن يوصف العصر الذي كان فيه هؤلاء الأئمة على دين ربهم ، بأنه عصر لم يطبق فيه الإسلام ؟ ! وأين غابوا جميعاً إذا كان الإسلام لم يطبق في زمانهم ؟ ولو شهدوا ، وصحت هذه الكلمة على زمانهم ، فكيف يؤمنون على ما بلغوا من أمر الدين ؟ .

بل إلى أى شيء يحتكم قائل هذه الكلمة في الحكم على عصرهم ؟ أليس يحتكم ويرجع في الحكم عليهم إلى ما بلغه هو من دين الله الذي بلغوه هم إليه ؟ وأتى له أن يعرف الإسلام إلا بما عثرفوه هم له ولمن سبقه من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ؟ بل كيف يعقل أن يبالغوا هذا الشيء الذي يستند إليه هذا القائل ، ويكونون هم أوّل الناقضين والهادمين بإغفالهم إقامته ، بل بعملهم على إقامة خلافه ؟ أتى العقل شيء بعد ذلك هو أفسد معنى ومدخلًا ومخرجاً من هذه الكلمة الجائرة ، ومن هذا الحكم المستأصل لدين هؤلاء الناس وعلمهم وأمانتهم ؟ كبرت كلمة وساء حكماً .

وأحب أن أزيد الأسئلة : ماهو هذا الإسلام الذي لم يطبق : أكفروا بأن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ؟ أتركوا صلاتهم وأضاعوها وسهوا عنها ؟ أمنعوا

زكاتهم واحتجزوها فلم يؤدوا حق الله عليهم ؟ أتركوا شهر صيامهم فأفطروه ؟ أأبوا أن يحجوا إلى بيت ربهم قاتنين مسبحين مكبرين ؟ أعتزلوا الجهاد بأموالهم وأنفسهم رغبة عنه وحرصاً على الحياة ؟ أغفلوا أدب الله لهم وأدب رسوله ؟ أنقضوا عهد الله خافوا الأمانة وبغوا في الأرض ؟ أعطوا أحكام الله وفرضوا على الناس أحكاماً من عند أنفسهم ؟ أشرعوا في الدين ما لم يأذن به الله ؟ أبطلوا الحدود ونصروا الخارجين عليها والعقدين ؟ أأعرضوا بقلوبهم ووجوههم عن كل ما تضمنه كتاب الله ، وما احتوته سنة رسوله ، وعادوا في جاهلية لا يعرف فيها لله دين ، ولا يطاع له فيها أمر ، ولا ينتهى فيها عن منكر ، ولا يؤتى فيها معروف ؟ أتركسوا هم الأمة كلها قرناً من بعد قرن في تعطيل الإسلام في أحكامهم ، وفي أنفسهم ، وفي أبنائهم ، وفي الدين دخلوا في هذا الدين حتى شمل ما بين الهند شرقاً إلى المغرب الأقصى غرباً ، ومن حدود الروم شمالاً إلى أقصى الأرض جنوباً ؟ أى عاقل يستطيع أن يقول : نعم . في جواب سؤال واحد من هذه الأسئلة ، فضلاً عنها كلها ؟

ولو غلغل المرء قليلاً فسأل نفسه : أمن الممكن لأمة تنقض دينها هذا النقض ، الذى استوجب ذلك الحكم ، أن تفتح الأرضين كلها ، وتحدث فيها أكبر تغيير حدث في تاريخ الجنس البشرى كله : تتغير بهم السنة الناس إلى العربية ، ودينهم إلى الإسلام ، وتنابد بهم إلى الألفة ، وتداعى بهم باسم العصبية والجنسية ، إلى شيء واحد هو جماعة المسلمين ، ويقوم هذا الأمر في الأرض ثلاثة عشر قرناً ، مع شدة ما انتاب المسلمين على مر القرون من النوائب ، إلى أن كانت النائية الكبرى في هذا العصر ، وهى نائية الاستعمار ، ويظلك مع ذلك هذا الرباط الوثيق مشدوداً ، لا ينحل من ناحية ، إلا تداركته آلاف الأسباب من هذا التراث من نواح أخرى ؟ أكان ممكناً لهؤلاء الذين خانوا أمانة الله أن يبلغوا هذا المبلغ ؟ اللهم اشهد . فإنها كلمة لو صحت لأزالت العقول من مستقرها . وصدق الله رسوله والمؤمنين : « وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَلِيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ، وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ » . وما من حرف من هذه البشارة إلا آتته الله على محمد وأصحابه وتابعيه ، إذ كانوا خير أمة أخرجت للناس ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويطيعون الله ورسوله في سرهم وعلانياتهم .

ومن الحق على من وسوس في قلبه هذا الحكم الشامل : أن الإسلام لم يطبق إلا مدة رسول الله، ومدة أبي بكر وعمر، أن يسأل نفسه : بم يصح مثل هذا الحكم ؟

إن بديهية العقل تجيبه بأنه لا يسوغ له أن يحكم على عصور كاملة بحكم شامل، إلا بدلائل بينة المعاني صحيحة الأصول ؛ وشرط هذه الدلائل أن تكون مستقصية لأهل الإسلام جميعاً في كل أرض، وأن تكون شاملة أيضاً لكل ما يكون به إسلام الناس إسلاماً، وأن يكون ما يدعى المدعى أنه قد أُبطل أمر من أمور الإسلام التي لم يختلف عليها المجتهدون من العلماء والفقهاء، وأن يكون هذا الإبطال جارياً مجرى الشريعة، ومأمورة به كل جماعة يشملها الإسلام، فإذا فقد الحكم هذا الشرط، فإنما هو تحكم محض وبهتان خالص، ولست أظن أن في العالم كله إنساناً يوصف بالمعرفة، يستطيع أن يؤيد هذا الحكم، بمثل هذه الدلائل، على مثل هذا الشرط، مهما أوتى من العلم، ومن التبشع، ومن سوء النية، ومن براعة التخلّص، ومن تمام القدرة على إظهار الباطل في ثياب مزورة من الحق.

وإلا فإن هذا الحكم الشامل، مظلمة جائرة مُبيرة لأهل العصور الأولى من الصحابة والتابعين وعلماء الأمة، وقادحٌ بليغٌ في دينهم وأمانتهم، وجائحة طاغيةٌ تزيل كل ثقة بهم وتاريخهم وأعمالهم، وناقضٌ مُدمرٌ ينقض كل ما يشهد به التاريخ الذي كنا نحن آخر خلف له في هذا العصر.

كلا، بل أتجاوز ولا أطالب من يقضى بهذا القضاء، أن يأتي بكل هذا الشمول، بل أقصر فأدعوه إلى أن يأتي بقضية مفردة عن الإسلام، تجتمع لها هذه الشروط، مصححة صادقة خالية من التوهم والغلو. وأنا على يقين من أن أحداً لا يطيق أن يفعل، وأن الأمر أكبر من أن يحيط به بيان مبين وعلم عالم. وإنما يؤتى الغارز فكره في هذه الضلالة المتحكمة باتخاذ الحادثة الواحدة المجردة من الاستقصاء والشمول، ومن الاختلاف في أمرها، ومن شمول العمل بها وإنفاذها في جماعات المسلمين — أساساً لاستقصاء مكذوب وشمول متوهم.

\*\*\*

ثم أتجاوز مرة أخرى وأتمس لهذا الحكم الشامل مخرجا آخر، أزعِم فيه أن العربية والبيان والعقل تبيح مجتمعة أن يكون المراد بالإسلام في هذا جزءاً من



الإسلام ، وأن يكون المراد بالدين لم يطبقوه فئة واحدة من المسلمين : فكيف يمكن أن يصح ؟

إن المدعى لمثله مطالب عندئذ أن يستقصى هذا الجزء المعطل في تاريخ العصور التي يشملها حكمه ، يوماً بعد يوم ، وحادثة بعد حادثة . وأن يدل دلالة لا يأتيا الشك أن ذلك هو الذي جرى به العمل في كل جماعة من جماعات المسلمين ؛ وأن يأتي بالبرهان على أن هذه الفئة أصرت على أن تجعل مخالفة هذا الجزء ديدنها في كل زمان ومكان ؛ وأنها استطاعت أن تجعل ماخالف حكم الله إلزاماً عاماً للناس كلهم بتشريع من عند أنفسهم يلزم الناس جميعاً العمل به والطاعة له . وهذه هي الشروط التي يقضى محض العقل أنها هي وحدها التي تبيح لامرئ أن ينطق بحكم شامل كهذا الحكم ، فإذا لم تتم له هذه الشروط ، فما هو إلا التعسف الغليظ الذي لا يبصر وجه الحق إلا في ظلمات من الباطل ، إن صح وأمكن أن يكون التعسف قادراً عندئذ على أن يبصر .

ثم أتجاوز مرة ثالثة ، فأزعم أن من الممكن أن نلتمس شيئاً من الإسلام لا يدخله الخلاف ، قد أطبق الخلفاء جميعاً منذ قتل عمر رضي الله عنه — على تعطيله فما الشروط اللازمة لمثل هذا الممكن ؟

ينبغي أن يثبت المرء أولاً أن الخليفة قادر على أن يأمر علماء الإسلام وفقهاءهم ومفتيهم وأمرأهم وعامة الناس منهم بهذا الذي يريد تعطيله ، وأنهم إن فعل أطاعوه جميعاً وعملوا بما أمر ، وأن هذا الشيء من الإسلام قد عطل تمام التعطيل في الحياة الإسلامية كلها في زمنه . ومن البين أن الخليفة رجل من المسلمين ، لا يملك أن يشرع للناس شرعاً يعمل به الفقهاء والقضاة والمفتون ، ويخضع له عامة الناس علانية ويعملون به في أنفسهم سرراً ، وإذا بطل هذا الشرط ، بطل الحكم كله ، ولم يبق إلا أن الخليفة ربما قدر على أن يعطل حكماً من أحكام الله ، فيما يمكن أن تناله يده ، وهو في بيته أو قصره أو بلدته ، دون سائر بلاد المسلمين ، وأن هذا الحكم لا يلزم أحداً من القضاة ولا الأمراء أن يفعلوا فعله ، لأنه لا يملك أن يشرع لهم ما لم يأذن به الله ، وأنا أقطع بأن تاريخ الإسلام كله ليس فيه حادثة واحدة ، استطاع خليفة أن يأمر قضاة المسلمين وعلماءهم وفقهاءهم بأمر يخالف كتاب الله وسنة نبيه ، فأطاعته الأمة كلها أو بعضها ، وعملت بما أراد ، وقضت على الناس بقضائه دون قضاء الله .

وينبغي أن يثبت المرء ثانياً أن الخليفة — أو غير الخليفة من أمراء المسلمين في بلدان الأرض المسلمة — قد استطاع أن يجعل هذا التعطيل ، بهذه الشروط ، عملاً

متوارثاً في جيل بعد جيل ، وأن الأمة قد اتفقت على قبول تعطيله أبداً ، وأن هذا هو الذي جرى به العمل بلارية ولا ادعاء ولا توم ولا اعتساف ، وأنا أقطع أيضاً بأن هذا شيء لم يكن قط إلا بعد أن ضرب الاستعمار على هذه الأمة الإسلامية حضارته وثقافته ولون تفكيره .

فهذه الكلمة الباغية الجائرة منقوضة في شمولها وفي تخصيصها ، ولا يستطيع منصف بعض الإنصاف أن يجد لها في العقل مخرجاً ، ولا في التاريخ شاهداً ، ولا في الفرض المطلق وسيلة إلى تحقيق طرف منها . وهي لا تصح في أحد محملها إلا كانت حكماً على عامة الصحابة والتابعين والفقهاء وخاصتهم بالكفر البواح . فلينظر امرؤ أين يُنزل عقله ؟ وفيم يورط دينه وتقواه ؟ وإلى أي قرار تهوى به كلمة تعجب هواه ويستخفها لسانه ، ويتغذى بها غروره بنفسه ؟

ولم أجعل همى في هذه الكلمات أن أسرد الحجج التي يحتاج بها القائلون بهذا الحكم ولا أن أروى ما يعدونه مؤيداً لهم من روايات التاريخ والكتب ؛ فإني إن فعلت كان لزاماً علي أن أقدم نفس هذه المقدمة في شروط الأحكام ، ومقدمة أخرى في تمييز ما يعد تاريخاً ، ومقدمة ثالثة في انتزاع الحكم العام من الحادثة أو الحوادث ، وهل هو صحيح في نفسه أو غير صحيح . ثم أخذها واحدة واحدة فأبين وجه تأويلها أو فهمها أو ردها أو تجرييحها إلى آخر ما ينبغي لكل من يتصدى للأحكام على أفراد في التاريخ ، فما ظنك بأمم بأسرها في تاريخ كامل كتاريخ العصور الإسلامية أولها وآخرها ، وكل مارميت إليه أن أبين فساد مثل هذا الحكم الشامل ، وأسباب فساد ، وأن أكشف عن موضع المخافة وثقل الوزر ، وجناية التسرع ، في تعميم الأحكام بلا بينة من العقل أو الحجة أو التاريخ . وأرجو أن يتاح لي أن أتناوله مرة أخرى بالبيان والتفصيل حتى يتجلى فيه وجه الحق ؟

# النشريع الجنائى الإسلامى

للأستاذ عبد القادر عوده

١ — الجرائم فى الشريعة الإسلامية هى المحظورات الشرعية التى زجر الله عنها بمحد أو تعزير<sup>(١)</sup> . والجرائم على تعددها وتنوعها تنقسم من حيث جسامه العقوبة المقررة عليها إلى ثلاثة أقسام : جرائم الحدود ، وجرائم القصاص والدية ، وجرائم التعازير<sup>(٢)</sup> . وجرائم الحدود وجرائم القصاص والدية محدودة العدد ، أما جرائم التعازير فعددها غير محدود ، وجرائم الحدود وجرائم القصاص والدية هى أكثر الجرائم وقوعاً ، وأجسامها عقوبة<sup>(٣)</sup> ، وهذا مما يدعو إلى الاهتمام بدراستها دراسة مستفيضة .

ونحن حين نخص هذه الجرائم بالبحث فى القسم الخاص نسير على ما جرى عليه عرف الفقهاء وشراح القوانين ، فقد جرى الفقهاء على الاهتمام بجرائم الحدود وجرائم القصاص والدية دون غيرها ، كما جرى أكثر الشراح على أن يستعرضوا فى القسم الخاص الجرائم الهامة دون غيرها من الجرائم .

وإذا كان البحث سيتناول نوعين من الجرائم هما جرائم الحدود وجرائم القصاص والدية فقد رأينا أن نخصص لكل نوع من الجرائم كتاباً ، وسيكون كل كتاب مشتملاً على أبواب وفصول ومباحث بقدر ما يقتضيه الحال .

(١) النشريع الجنائى الإسلامى الجزء الأول ص ٦٦ .

(٢) نفس المرجع ص ٧٨ وما بعدها .

(٣) نفس المرجع ص ٧٠٨ وما بعدها .

# الكتاب الأول

## في الحدود

### تمهيد

٢ — تعريف الحد: — الحد لغة هو المنع، واصطلاحاً هو العقوبة المقررة شرعاً (١) ويطلق لفظ الحد عادة على جرائم الحدود وعلى عقوباتها؛ فيقال ارتكب الجاني حداً ويقال عقوبته حد، وإذا أطلق لفظ الحد على الجريمة فإنما يقصد تعريف الجريمة بعقوبتها أي بأنها جريمة ذات عقوبة مقدرة شرعاً.

ويدخل تحت الحد بهذا المعنى جرائم الحدود وجرائم القصاص والدية لأن عقوباتها جميعاً مقدرة شرعاً، لكن أكثر الفقهاء يخصصون لفظ الحد لجرائم الحدود وعقوباتها دون غيرها، ويعرفون عقوبة الحد بأنها العقوبة المقدرة حقاً لله تعالى؛ فيخرج بهذا التعريف العقوبات المقررة لجرائم القصاص والدية لأنها وإن كانت مقدرة شرعاً إلا أنها مقررة حقاً للأفراد، كما تخرج عقوبات جرائم التعازير لأنها جميعاً عقوبات غير مقررة.

ومعنى أن العقوبة مقدرة أن الشارع عين نوعها وحدد مقدارها ولم يترك اختيارها أو تقديرها لولي الأمر أو القاضي، ومعنى أنها مقررة حقاً لله أنها مقررة لصالح الجماعة وحماية نظامها.

والفقهاء حين ينسبون العقوبة لله جل شأنه ويقولون إنها حق لله يعنون بذلك أنها لا تقبل الإسقاط لا من الأفراد ولا من الجماعة.

وتعتبر العقوبة في الشريعة حقاً لله كلما استوجبت المصلحة العامة وهي دفع الفساد عن الناس وتحقيق الصيانة لهم، فكل عقوبة يرجع فسادها إلى العامة وتعود منفعة

(١) شرح فتح القدير ج ٤ ص ١١٣ — شرح الزرقاني ثامن ص ١١٥ — شرح الأزهار رابع ص ٢٣٣ — المحلى لابن حزم حادي عشر ص ١١٨



عقوبتها عليهم تعتبر العقوبة المقررة عليها حقاً لله تأكيداً لتحصيل النفع ، ودفع المضرة والفساد لأن اعتبار العقوبة حقاً لله يؤدي إلى عدم إسقاطها بإسقاط الأفراد والجماعة لها (١) .

٣ — الحد والجنابة : — ويعبر بعض الفقهاء عن جريمة الحد بلفظ الجنابة ويكتبون عن جرائم الحدود تحت عنوان الجنابات (٢) والجنابة لغة اسم لما يحثه المرء من شر وما اكتسبه ، وفي الاصطلاح الفقهي اسم لفعل محرم شرعاً ، ولفظ الجنابة مرادف اصطلاحاً للفظ الجريمة . ولما كانت الحدود جرائم فقد صح أن تسمى بالجنابات ؛ على أنه إذا كان كل حد جنابة فليست كل جنابة حداً ، لأن من الجنابات جرائم التعازير ، وعقوباتها غير مقدرة ، وإذا لم تكن عقوبة الجريمة مقدرة فهي ليست حداً .

٤ — جرائم الحدود : — جرائم الحدود سبع وهي : —

- |              |                           |             |
|--------------|---------------------------|-------------|
| (١) الزنا .  | (٢) القذف .               | (٣) الشرب . |
| (٤) السرقة . | (٥) الحاربة أو المحاربة . |             |
| (٦) الردة .  | (٧) البغي .               |             |

وهذا هو ما يراه جمهور الفقهاء ، ولكن ابن حزم يخرج البغي من عداد جرائم الحدود ويضع بدلاً منه جريمة جحد العارية (٣) . وسنخصص لكل جريمة من هذه الجرائم باباً فيما يلي :

أما جريمة جحد العارية فسنتناولها أثناء الكلام عن جريمة السرقة .

(١) شرح فتح القدير ج رابع ص ١١٢ ، ١١٣ بدائع الصنائع ج ٧ ص ٥٦ .

(٢) الوجيز للقراني ج ٢ ص ١٦٤ — بداية المجتهد ج ٢ ص ٣٣٠ .

(٣) المحلى لابن حزم الحادي عشر ص ١١٨ .

## الباب الأول

### في الزنا

٥ — الزنا في الشريعة والقانون : يختلف الزنا في الشريعة عنه في القوانين.

الوضعية : فالشريعة تعتبر كل وطء محرم زنا وتعاقب عليه سواء كان من متزوج أو غير متزوج ، أما القوانين الوضعية فلا تعتبر كل وطء محرم زنا ، وأغلبها يعاقب بصفة خاصة على الزنا الحاصل من الزوجين فقط كالقانون المصري والقانون الفرنسي ، ولا تعتبر ما عدا ذلك زنا ، وإنما تعتبره وقاعاً أو هتك عرض ، ولا تعاقب على الوقوع إلا في حالة الاغتصاب ، فإن كان بالتراضي فلا عقاب عليه ما لم يكن الرضا معيياً . ويعتبر القانون المصري الرضا معيياً إذا لم يبلغ المفعول به ثمانية عشر عاماً كاملة — ولو وقعت الجريمة بناء على طلبه هو — فإن بلغها اعتبر رضاه صحيحاً . والعقوبة على هتك العرض في حالة الرضا المعيب بسيطة لأن الفعل يعتبر جنحة .

ويدخل اللواط في هتك العرض طبقاً لقانون العقوبات المصري سواء لاط الفاعل بامرأة أو رجل ، ويدخل في هتك العرض أيضاً اللواط الحاصل من غير المتزوجين . ويعاقب القانون المصري في حالة الزنا الرجل والمرأة معا ، أما في الوقوع وهتك العرض فلا يعاقب القانون إلا طرفاً واحداً هو الفاعل سواء أتى للمفعول به في القبل أو الدبر ، وعلة ذلك أن القانون يبيح الفعل مادام مصحوباً برضاء المفعول به فإن كان رضاه منعدماً أو معيياً اعتبر مجنياً عليه لا جانياً .

٦ — أساس عقوبة الزنا في الشريعة وفي القانون : وتعاقب الشريعة الإسلامية

على الزنا باعتباره مأساً بكيان الجماعة وسلامتها ، إذ أنه اعتداء شديد على نظام الأسرة . والأسرة هي الأساس الذي تقوم عليه الجماعة ، ولأن في إباحة الزنا إشاعة للفاحشة وهذا يؤدي إلى هدم الأسرة ثم فساد المجتمع وانحلاله . والشريعة تحرص أشد الحرص على بقاء الجماعة متماسكة قوية .

أما العقوبة في القوانين الوضعية فأساسها أن الزنا من المسائل الشخصية التي تمس علاقات الأفراد ولا تمس صوالح الجماعة فلا معنى للعقوبة عليه ما دام عن تراض إلا إذا كان أحد الطرفين زوجاً ففي هذه الحالة يعاقب على الفعل صيانة لحرمة الزوجية .

٧ - الواقع يشهد للشريعة : ولعل ما حدث في أوروبا والبلاد الغربية عامة يؤيد نظرية الشريعة ، فقد تحللت الجماعات الأوربية وتصدعت وحدثها وذهب ريحها ، وليس لذلك من سبب إلا شيوع الفاحشة ، والفساد الخلقي والإباحية التي لا تعرف حداً ينهي إليه ، وما أشاع الفاحشة وأفسد الأخلاق ونشر الإباحية إلا إباحة الزنا وترك الأفراد لشهواتهم واعتبار الزنا من المسائل الشخصية التي لا تمس صالح الجماعة . بل لعل أشد ما تواجهه البلاد غير الإسلامية اليوم من أزمات اجتماعية وسياسية يرجع إلى إباحة الزنا ، فقد قل النسل في بعض الدول قلة ظاهرة تنذر بفناء هذه الدول أو توقف نموها ، وترجع قلة النسل أولاً وأخيراً إلى امتناع الكثيرين عن الزواج ، وإلى العقم الذي انتشر بين الأزواج . ولا يمتنع الرجل عن الزواج إلا لأنه يستطيع أن ينال من المرأة ما يشاء في غير حاجة إلى الزواج وتحمل أثقاله ومتاعبه ، ولأنه لا يثق من أن المرأة ستكون له وحده بعد الزواج وقد اعتاد أن يجدها مشاعاً بينه وبين الغير قبل الزواج .

والمرأة التي كانت أمنيته الأولى الزواج ووظيفتها التي خلقت من أجلها إدارة البيت وتربية الأولاد ، هذه المرأة أصبحت في كثير من الأحوال تنفر من الزواج ولا ترضى أن تستأثر لرجل ما لتنال ما عنده ، بينما هي تستطيع أن تنال ما عند عشرات الرجال دون أن تثقل نفسها بالقيود والأغلال . وقد أدى شيوع الزنا إلى مقاومة الحمل من جهة وانتشار الأمراض السرية من جهة أخرى ، وإذا كانت المقاومة للحمل تؤدي في كثير من الأحوال إلى عقم النساء ، فإن انتشار الأمراض السرية يؤدي غالباً إلى عقم الرجال والنساء على السواء .

كانت المرأة تعيش في كنف الرجل في ظل الزواج فلما أضرب الرجال عن الزواج كان لا بد للمرأة أن تعيش فاضطرت إلى مزاحمة الرجل في ميدان العمل لتنال قوتها فأدى هذا إلى تفشي البطالة وشيوع المبادئ الهدامة ، وألقى بشعوب أوروبا في بحر لجي يزخر بالفوضى والاضطراب .

ويستطيع الإنسان أن يرتب على هذه النتائج الاجتماعية نتائجها السياسية الخطيرة دون أن يخطئ الحساب . ولو تدبر هذه النتائج القائلون بأن الزنا علاقة شخصية اعلموا أن الزنا من أخطر الجرائم الاجتماعية وأنه أول ما يجب أن يحارب من الجرائم . ولقد حاربت الشريعة الإسلامية الزنا على هذا الأساس لتجنب الوصول إلى هذه النتائج المخيفة ، وقررت أشد العقوبات للزناة ، حتى إنها اعتبرت من يزني بعد إحصانه غير صالح للبقاء لأنه مثل سئء وليس للمثل السئ في الشريعة حق البقاء .

ولقد كانت البلاد الإسلامية على العموم أكثر البلاد إقبالا على الزواج وبعداً عن الإباحية ، ولكن إباحة الزنا فيها على الطريقة الأوروبية تقل إليها نفس الأمراض التي يشكو منها المجتمع الأوربي ؛ فقد أصبح الرجال يعرضون عن الزواج لأنهم ينالون حاجاتهم من المرأة دون زواج ، وبدأت المرأة لا تهتم بالاتصال بالرجل كزوج لأنها تستطيع أن تتصل به كما تشاء من غير طريق الزواج ، وقد صعب الإعراض عن الزواج قلة النسل والعقم وتفشى الأمراض السرية ، وبدأ النساء يتطلعن إلى مساواتهن بالرجال ويزاحمنهم في شتى الأعمال ، وانحط مستوى الأخلاق والآداب العامة ، وغاض الحياء من الوجوه والنفوس . ولا علاج لهذا كله إلا بالرجوع إلى الشريعة الإسلامية وتطبيق أحكامها ونبد القوانين الوضعية والمبادئ الواهية التي تقوم عليها .



## ولاية المسلمين معلومون

خطب عمر بن الخطاب الناس في موسم الحج فقال :  
إني والله ما أبعث إليكم عمالي ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا من أموالكم ، ولكنني أبعثهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنة نبيكم ؛ فمن فعل به سوى ذلك فليرفعه إليّ ، فوالذي نفسي بيده لأقصنه منه .

فوثب عمرو بن العاص فقال : يا أمير المؤمنين أرايت إن كان من المسلمين واليا على رعيه فأدب بعضهم إنك لتقصه منه ؟

فقال : أي والذي نفسي بيده لأقصنه ، وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه ، ألا لا تضربوا المسلمين فتذلّوهم ، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ، ولا تنزلوا بهم الغياض فتضيعوهم .



# حول دستور الباكستان

للاستاذ الدكتور اشتياق حسين قرشي

وكيل وزارة الداخلية الباكستانية

يتردد على السنة كثيرة وجوب فصل السياسة عن الدين ، ويحتج القائلون بذلك بأن كلا منهما يتصل بجانب مختلف من النشاط الإنساني ؛ فالدين أساسه الإيمان ، والسياسة قاعدتها الفكر ، ويذهبون في ذلك إلى أن الفصل يجب أن يكون تاماً .

هذا رأي أنصاره كثيرون ، وهو المحور الأصيل الذي تدور حوله اعتراضاتهم على الاتجاه الإسلامي في صياغة دستور باكستان الجديد . ولكنني أعتقد أن هذا الفصل الذي يقولون به مستحيل لسبب سهل هو أن تفكيرنا مصطبغ دائماً بقصدنا ، وعقيدتنا متأثرة حقاً بتفكيرنا ، ومالم يعمل أحدنا فكره فلن يستطيع أن يحمل إيماناً صحيحاً بشيء ، وإذا عشنا بغير إيمان فإنه يستحيل علينا أن نرسم لتفكيرنا وجهته ومنهاجه .

فكيف يمكن إذن تصور الشخصية المزدوجة التي لاصلة بين سياستها ودينها والتي تزعم أن هذه الجوانب من نشاطها يحكمها الدين وحده ، وأن تلك الجوانب الأخرى لا يحكمها غير العقل ؟ كيف يكون عندنا نحن المسلمين أن يصبح الدين ثوباً نلبسه للمعبود يوم الأحد وننزعه حين نخرج منه لنمارس شئون حياتنا اليومية ؟ تلك فكرة غريبة كل الغرابة عنا ، ودعونا نناقشها بعض الشيء .

ما الذي يقوله مشروع دستور الباكستان ؟ إنه يقول إن سياستنا يجب أن تقوم على أساس من معرفة الله ، في حين يقول غيرنا أن هذا الإله قد يكون موجوداً ولكن لا شأن له بحياتنا . وذلك يذكرني بأغنية كان يترنم بها الفلاسفة المتأخرون في الإمبراطورية الرومانية : « ليس هناك آلهة ، ولكن إذا فرض ووجد نسم إله .. فلا يجوز له أن يتدخل في شئون الناس » .

وكانت هذه الأغنية الأذان بأقول نجم الرومان ، واستشرى شرها فأتى بنيانهم من القواعد . . . فهل يراد بنا أن نضل اليوم هذا الضلال ؟ وهل يجوز لنا أن نفصل السياسة عن القيم الروحية العالية ومثل الحياة العليا ؟ لقد قيل إننا إذا سمحنا للدين أن يدخل عالم السياسة فإن من وراء ذلك الاضطرابات والثورات والحروب ، ولسنا نجادل

في أن الإنسانية وقعت أحيانا في هذا وخاضت باسم الدين حروبا ألجية . ولكن أليس من الحق كذلك أن الحروب التي اشتعلت نارها في حياتنا نحن لم تكن واحدة منها في سبيل الدين ؟ . وإنني لأتحدى أي إنسان أن يجد في تاريخ البشرية كلها حربا دينية كان فيها من الوحشية والدمار ما شاهدناه بأنفسنا في حروب هذا القرن من قريب أو بعيد .

إن نقص الإيمان ، لا الإيمان : هو المسئول عن اضطراب الناس ، وإنه الخروج على حدود الله والتمرد على وازع الروح الإلهي العميق الذي يلقي السحب الداكنة على بدائه الحياة . ويعقد أنفس الناس ، ويمتلئ به البعض حقداً حتى على الخير الذي يملكه غيرهم ولا يملكونه . بل إنني أزيد على ذلك فأقرر أنه ما من فترة في تاريخ الإنسان هربت فيها السياسة من تكاليف المثل الأعلى ، الذي لا تقره في حياة الناس إلا روح الدين ، إلا كانت فترة دمار وخراب . وأنه حينما ثارت مشاعر الناس من أعماقها ثورة لغير الله والحق ، وعلى غير موازين معروفة تحكم حياتهم فإن هذه الثورة لا تسوق إلا إلى شر محقق .

أما إذا قيل إنه لا يجوز أن نسمح للتعصب بمفهومه البغيض أن يؤثر على علاقتنا بالناس فإن جوابي على ذلك بدون تردد « نعم » . ولكن أحب أن أطمئن القائلين بذلك أننا في مشروع دستورنا قد أقررنا علاقتنا بغير المسلمين على أساس من التسامح الكامل ، وتقدير ثقافتهم وحريتهم .

وقد اعترض بعضهم على العبارة التي تكررت في مشروع الدستور : « . . . كما ينص الإسلام » وأجدي هنا مدفوعا إلى إظهار عجي من هؤلاء الذين يفرقون كلما ذكرت كلمة الدين أو كلمة الإسلام . . . لماذا ؟ . . . هل درستم تعاليم الدين ؟ . . . هل كلفتم أنفسكم قراءة تاريخه قراءة المنصف المتجرد للحق ؟ قد يكون من أسباب هذا الفرق الخلط بين الناحيتين القانونية والسياسية في طبيعة الضمانة التي يحرص عليها غير المسلمين في الباكستان ، فإن هذه غير تلك ، وعناصر الضمانة القانونية ستكون في أيديهم مكتوبة محددة وقد رأوا مطلعها في المشروع ، أما الضمانة السياسية فإن ركيزتها الحقيقية في الباكستان وفي كل دولة هو أن تكسب الأقلية عاطفة الأغلبية وثقتها . على أن المجتمع الإسلامي يتمتع في ذلك بميزة لا توجد في سواء ، فإن الحياة السياسية فيه لا تصوغها الأفكار والمذاهب المتغيرة المتطورة ولكن تحددها من كل جوانبها حدود قاهرة من أمر الله فليس لغير المسلمين بعد هذا أن يخشوا تغييراً سياسياً

يضرّ بهم ما دمنا قد قررنا في مطلع دستورنا أن حكم الله الرحيم هو الأساس العميق الذي أقمنا عليه دولتنا هذه الناشئة .

وقال البعض ما الذي يضمن لنا أن تبقى النصوص التي تضعون الآن مفسرة تفسيراً واحداً يضمن لغير المسلمين الأمن والسلامة ؟ والرد على ذلك هو أن مجال التفسير لا مفر منه ، واحتمال تغييره خطر قائم في كل دستور ، بل هو في الدستور الإسلامي أقل خطراً لأن التأويل محكوم بمبادئ الإسلام الأساسية ، ولأن أساس هذه المبادئ خضوع أهواء الناس المتغيرة لحكم الله الذي لا يتغير .

وقد قال البعض هنا إننا بالعودة إلى التعاليم الدينية والحكم الإلهي ، إنما نضع أساس الحكم المطلق وننادي بتأليه الدولة . ١. ومقدمة مشروع الدستور كفيلة بتطمين هؤلاء فإنها قررت أن سلطة الدولة مستمدة من الشعب ، أما السلطان المطلق فهو لله وحده . . . فكيف يستطيع رجل يؤمن بالله إذن أن يتخذ الدولة إلهاً ؟ إن الحكم المطلق لا يعرفه علم السياسة ، ولا مكان له في القرن العشرين إلا في أحلام الطغاة ومخيلة الحمقى والبلهاء . وليس من ضمان ضده إلا تنمية المعاني الإنسانية العالية في أنفس الناس . فكيف يمكن القول بعد ذلك بأن هناك تناقضاً بين هذه المعاني وبين الديمقراطية ، أو أن يقال إن الحكومات الديمقراطية غير الدينية هي النوع الوحيد من الديمقراطية . ما الذي يراد بكلمة « غير الدينية » ؟ إن معناها في القاموس « الحكومة التي لا تعتمد على إرادة الكهنة » ونحن نقول : إنه لا كهانة في الإسلام فما الذي يخشاه الناس من حكومة الإسلام بعد هذا ؟

\*\*\*

إن الشعوب يجب أن تساق عن طريق مثلها العليا ومبادئها الخالدة ، ومن أجل ذلك قامت دولة الباكستان ، وقام مشروع دستورها الإسلامي الجديد ؟

# في التاريخ...

## فكرة ومنهاج

### للأستاذ سيد قطب

التاريخ ليس هو الحوادث ، إنما هو تفسير هذه الحوادث ، والاهتداء إلى الروابط الظاهرة والخفية التي تجمع بين شتاتها ، وتجعل منها وحدة متماسكة الحلقات ، متفاعلة الجزئيات ، ممتدة مع الزمن والبيئة امتداد الكائن الحي في الزمان والمكان . ولكي يفهم الإنسان الحادثة ويفسرها ، ويربطها بما قبلها وما تلاها ، ينبغي أن يكون لديه الاستعداد لإدراك مقومات النفس البشرية جميعها : روحية وفكرة وحيوية ، ومقومات الحياة البشرية جميعها : معنوية ومادية . وأن يفتح روحه وفكره وحسه للحادثة ويستجيب لوقوعها في مداركه ولا يرفض شيئاً من استجاباته لها إلا بعد تخرج وتمحيص ونقد .

فأما إذا كان يتلقاها بادية ذي بدء وهو معطل الروح أو الفكر أو الحس — عن عمد أو غير عمد — فإن هذا التعطيل المتعمد أو غير المتعمد ، يحرمه استجابة معينة للحادثة التاريخية : أي أنه يحرمه عنصراً من عناصر إدراكها وفهمها على الوجه الكامل . ومن ثم يجعل تفسيره لها مخطئاً أو ناقصاً .

هذه الاستجابة الناقصة هي أول ظاهرة تتسم بها البحوث الغربية عن الموضوعات الإسلامية ؛ ذلك أن هناك عنصراً ينقص الطبيعة الغربية — بصفة عامة — لإدراك الحياة الشرقية بصفة عامة ، والحياة الإسلامية على وجه الخصوص . . عنصر الروحية الغيبية — وبخاصة في العصور الحديثة بعد غلبة النظريات المادية ، والطريقة التجريبية على وجه أخص — وكلما كانت هذه الموضوعات الإسلامية ذات صلة وثيقة بالفترة الأولى من حياة الإسلام كان نقص الاستجابة إليها أكبر في العقلية الغربية الحديثة .

وقد ذكرت عنصر الروحية الغيبية على وجه التخصيص لأنه أظهر ما يبدو فيه هذا النقص في الطبيعة الغربية ، وفيه تكمن معظم أوجه الاختلاف بين الطبعيتين وهي شتى كثيرة .



هذه المقدمة الصغيرة لا بد منها لبيان ما في تناول المؤرخين الغربيين للتاريخ الإسلامي من نقص طبيعي في الإدراك ، ونقص طبيعي في الفهم ، ونقص طبيعي في التفسير والتصور . فانعدام عنصر من عناصر الاستجابة للحادثة أو ضعفه ، لا بد أن يقابله نقص في القدرة على النظر إلى الحادثة من شتى جوانبها . وضياح عنصر من عناصر التقويم والحكم لا يؤمن معه سلامة هذا الحكم ، أو على الأقل لا يسلم على علانه .

هذا النقص يعد عيباً في منهج العمل التاريخي ذاته ، وليس مجرد خطأ جزئي في تفسير حادثة أو تصور حالة . ومن ثم فالمنهج الأوربي في البحث يسبب تعطيل أحد عناصر الاستجابة سواء كان ذلك ناشئاً عن الطبيعة الغربية ذاتها وملابسات حياتها البيئية والتاريخية ، أو ناشئاً عن تعمد المؤرخ الأوربي تعطيل هذا العنصر ، استجابة لمنهج معين في الدراسة . هذا المنهج غير صالح لتناول الحياة الإسلامية بل لتناول الحياة الشرقية على وجه العموم . ولكن عدم الصلاحية يتجلى في جانب الدراسات الإسلامية أوضح وأقوى .

وثمة سبب للشك في قيمة الدراسات التاريخية الغربية للحياة الإسلامية . ذلك أنه لا يخفى أن كل مرئى يختلف شكله باختلاف زاوية الرؤية . وكذلك الشأن في الأحداث والوقائع . والأوربي بطبيعته ميال إلى اعتبار أوروبا هي محور العالم ، فهي نقطة الرصد في نظره ، ومن هذه الزاوية ينظر إلى الحياة والناس والأحداث . ومن هنا تتخذ في نظره أشكالاً معينة ليس من يملك الجزم بأنها أصح الأشكال . وهو يدركها في هذه الأوضاع ويفسرها ويحكم عليها كما يراها .

وإذا كان بديهياً أن أوربا لم تكن هي محور العالم في كل عصور التاريخ ، وكان الأوربي لا يملك اليوم أن يتخلص من وهم وضعها الحاضر حين ينظر إلى الماضي . . . أدركنا مدى انحراف الزاوية التي ينظر بها الأوربي للحياة الإسلامية التاريخية ، ومدى أخطاء الرؤية التي يضطر إليها اضطراراً ، ومدى أخطاء التفسير والحكم الناشئة من هذه الرؤية المعيبة .

ذلك كله على افتراض النزاهة العملية المطلقة ، وانتفاء الأسباب التي تؤثر على هذه النزاهة ، فإذا نحن وضعنا في الحساب ما لا بد من وضعه ، وما لا يمكن جدياً إغفاله من أسباب ملحة قاهرة عميقة طويلة الأجل ، متجددة البواعث تؤثر في نظرة الأوربي للإسلام ، وللحياة الإسلامية ، وللعالم الإسلامي . من اختلاف في العقيدة ، إلى كراهية لهذا الدين وأهله ، إلى ذكريات تاريخية مريرة في الأندلس وفي بيت المقدس وفي الأستانة

وفي سواها ، إلى صراع سياسى واقتصادى واستعمارى ، إلى نزوات شخصية والتواءات فكرية . . إلى آخر تلك البواعث القديمة المتجددة أبداً . .

إذا نحن وضعنا فى الحساب ذلك كله — ولا بد أن نضعه لنضع الأمور فى نصابها — وأضفنا إليه خطأ المنهج وخطأ الرؤية . . أمكن أن نقدر قيمة الدراسات الأوربية فى الحقل الإسلامى — وبخاصة فى التاريخ — قدرها الصحيح ، وأن نتحرز التحرز العلمى الواجب لا من قبول هذه الدراسات على علاتها ، بل من قبول المنهج الذى قامت عليه ، أو محاولة اتباعه فى دراساتنا الإسلامية على وجه خاص .

وإلى هنا نصل إلى منتصف الطريق فى بيان الفكرة التى ندعو إليها ، والمنهج الذى نشير به .

\*\*\*

إن التاريخ الإسلامى يجب أن تعاد كتابته على أسس جديدة وبمنهج آخر . . إن هذا التاريخ موجود اليوم فى صورتين : صورته فى المصادر العربية القديمة ، وهذه من التجوز الشديد أن تسمى تاريخاً ، بل هى لا يمكن أن تحمل هذا الاسم . فهى تثار من الحوادث والوقائع والحكايات والأحاديث ، والتنف والملمح ، والخرافات والأساطير ، والروايات المتضاربة ، والأقوال المتعارضة على كل حال . . وإن كانت بعد ذلك كله غنية كمصدر تاريخى بالمواد الحامة التى تسعف من يريد الدراسة ويوهب الصبر ، ويحاول الغريلة . . بالمواد الأولية اللازمة له فى بناء هيكل التاريخ .

وصورته فى المصادر الأوربية — وبخاصة فى أعمال المستشرقين — وهى الصورة التى تحدثنا من قبل عنها ، وألقينا عليها فى إجمال بعض الأضواء . وهى تعتمد فى جملتها على المصادر العربية القديمة . وهى على ترتيبها وتنسيقها تنقسم بتلك السمات التى لا تطمئن الباحث الواعى إليها . وهى فى أحسن صورها دراسة من الظاهر للحياة الإسلامية — إذا صح هذا التعبير — وخير ما فيها هو الجهد فى جمع النصوص وتحريرها وتنسيقها والموازنة بين الروايات المختلفة من ناحية السند الخارجى ، لا من ناحية الإدراك الداخلى ؛ لأن هذا الإدراك هو الذى يحتاج إلى تلك الحاسة الناقصة فى شعور الغربيين تجاه الحياة الإسلامية كما أسلفنا ، فضلاً عن الغرض فى كثير من الأحيان والهووى ، مما يخل بنزاهة الموازنة ، فضلاً على فقد عنصر التجاوب الكامل مع المؤثرات جميعاً .

هنالك أجزاء لم تتم من صورة ثلاثة للتاريخ الإسلامى — لم نشأ أن نعتبرها فى الفقرتين السابقتين ، لأنها — فضلا على كونها أجزاء معدودة — لا تزيد على أن تكون ظللا باهتة أو كاملة للدراسات الأوربية ، حتى وهى تناقش أحيانا أو تعارض هذه الدراسات . فهى أولا تتبع النهج الغربى فى صميمه دون زيادة ، وهى ثانياً تستمد عناصرها من الدراسات الغربية فى الغالب ، وهى ثالثاً متأثرة بالإيماءات الغربية من ناحية زاوية الرؤية ؛ فهى لا تقف فى المركز الإسلامى لتطل على الحياة الإسلامية ، وإنما تقف فى مركز الحضارة الغربية لتطل منه على تلك الحياة ، لأنها ليست من القوة والإصالة بحيث تجد نفسها فى خضم الثقافات الغربية ، لتفهم الإسلام بعقلية أصيلة وعلى ضوء كذلك أصيل . والعقلية التى تحكم على الحياة الإسلامية ينبغي أن تكون فى صميمها إسلامية مشربة بالروح الإسلامى ، لكى تدرك العناصر الأساسية فى هذه الحياة ، وتحسها وتتجاوب معها ، فتستكمل كل عناصر التفسير والتقدير .

يجب إذن أن تعاد كتابة التاريخ الإسلامى على أسس جديدة وبمنهج آخر . يجب أن ينظر إلى الحياة الإسلامية من زاوية جديدة ، وتحت أضواء جديدة . لكى تعطى كل أسرارها وإشعاعاتها ، وتكشف بكل عناصرها ومقوماتها .

فى هذه الدراسة الجديدة يجب أن تكون المصادر العربية هى المرجع الأول ، والدراسات الغربية هى المرجع الثانى . على أن ينتفع من هذا المرجع الأخير ، بتحرير النصوص وتنسيقها ، وبيعض الموازنات بين شق الروايات من جهة السند . ولا شئ بعد ذلك أبدا . فبقية العمل يجب أن تكون ذاتية بحثة ، غير متأثرة إلا بمنطق الحوادث ذاتها ، بعد أن يعيش الباحث بعقله وروحه وحسه فى جو الإسلام كعقيدة وفكرة ونظام . وفى جو الحياة الإسلامية كقطعة من حياة البشرية الواقعية . وهذه الحياة فى هذا الجو ضرورية جدا لتفتح نوافذ إدراكه جميعاً ، لا لفهم تلك الحياة فحسب ، بل لإدراكها ككائن حى ، وإدراك مواقع الحوادث والوقائع فى جسم هذا الكائن الحى .

وإنه ليعز على الباحث فى أية فترة من حياة الإنسانية أن يدركها إدراكا حقيقيا داخلها ، إلا أن يتجاوب معها بكل ذاتيته ، وأن يعيش فى جوها بكامل مؤثراتها وإيماءاتها ، فليست هذه خصيصة قاصرة على الحياة الإسلامية ، وإن كانت أكثر وضوحا بالقياس إلى الحياة الإسلامية ، لأن مقومات هذه الحياة تختلف فى كثير من أنواعها وماهياتها عن مقومات الفترة الحاضرة وبخاصة فى العالم الأوروبى .

وإنه ليصعب أن تتصور إمكان دراسة الحياة الإسلامية كاملة دون إدراك كامل لروح العقيدة الإسلامية ، ولطبيعة فكرة الإسلام عن الكون والحياة والإنسان ، ولطبيعة استجابة المسلم لتلك العقيدة ، وطريقته في الاستجابة للحياة كلها في ظل تلك العقيدة ؛ وهذه الخصائص كلها لا يمكن أن تطلب عند باحث غير عربي بوجه عام ، ولا عند غير مسلم على وجه التخصيص ، وهي الخصائص التي لا بد من توافرها عند إعادة كتابة التاريخ الإسلامي .

إنه لا بد من إدراك البواعث الحقيقية لتصرفات الناس في خلال هذه الحياة التاريخية الإسلامية وعلاقة هذه البواعث بالحوادث ، والتطورات ، والانقلابات . ولا بد من ربط هذا كله بطبيعة الفكرة الإسلامية وما فيها من روح انقلابية ثورية — لا في شكلها الخارجي وخطواتها العملية فحسب — ولكن في تفسيرها للعلاقات الكونية ، والعلاقات الإنسانية ، والعلاقات الاجتماعية . وفي تصويرها لنظام الحكم وسياسة المال وطرق التشريع ، ووسائل التنفيذ . الخ . وهي كلها من مقومات الحياة وبالتالي من مقومات التاريخ لهذه الحياة .

إن المعارك الحربية ، والمعاهدات السياسية ، والاحتكاكات الدولية . . وما إليها مما يعنى به التاريخ غالباً ، أكثر من سواه . . إنها كلها محكومة بعوامل أخرى هي التي يجب أن تبرز عند كتابة التاريخ . . هذه العوامل التي يختلف الباحثون في إدراكها وتقديرها : كل يخضع للفلسفة التي تسيطر على تفكيره وتقديره ، أي لطريقة إدراكه للحياة في عمومها . وللباحث المسلم مزية هنا في دراسة الحياة الإسلامية ؛ لأن طريقة إدراكه للحياة تمت بصلة إلى حقيقة هذه العوامل المؤثرة في سير التاريخ . ومن ثم فهو أقدر على التلبس بها واستبطنها ، والاستجابة لها استجابة كاملة صحيحة .

وعلى ضوء إدراكه لطبيعة العقيدة الإسلامية ، وطريقة استجابة المسلمين لها يستطيع أن يزن دوافع الحياة الإسلامية في تلك الفترة التاريخية والقيم الإنسانية الكامنة فيها ، وأسباب النصر والهزيمة في كل خطوة . وأن يتصور الحياة الظاهرة والباطنة لتلك الجماعات الإنسانية في مهد الإسلام الأول وفي البلاد التي انشاح فيها . فيضم إلى الجوانب الظاهرة التي لا يدرك الغربيون سواها في الغالب كل الجوانب الروحية الخفية التي يعدها الإسلام واقعاً من الواقع ، ويحسب لها حسابها في سير الزمان وتشكل الحياة في كل زمان ومكان<sup>(١)</sup> .

(١) تم بحمد الله تأليف جماعة من المسلمين الباحثين لإعادة كتابة التاريخ الإسلامي وفق هذا المنهج وقد أخذت هذه الجماعة في عملها فعلاً . وستظهر أول حلقة من نشاطها بعد أشهر معدودة إن شاء الله



# الفكر الاقتصادي الإسلامي

للدكتور محمد صالح

أستاذ الاقتصاد بكلية الحقوق بجامعة فؤاد وعبيدما السابق

تتميز الحضارة الحديثة باتجاهها نحو المادية البحتة ، فقد أصبح المال كل شيء وصارت  
أقدار الناس تقوّم بالنقود ، وأصبحت الحياة هي الذهب حتى جرى على ألسنة الناس  
هذا المثل المشهور « الوقت من ذهب » وصارت الفضيلة لا ترغب لذاتها ، بل لأنها  
وسيلة لزيادة قوة الكسب ، والقدرة على جمع المال وفي هذا يقول المثل الانكليزي  
« الأمانة أحسن سياسة » وقد كان للمذاهب الاقتصادية تأثير كبير في صيرورة العالم  
إلى هذه المادية . وقد جرّ العالم إلى هذا المصير تباین المقاصد الاقتصادية عن الدين ، وأصبح  
مستقبل الإنسانية ينذر بالشر إن لم يقض على هذه المذاهب الاقتصادية . وقد أخذ المفكرون  
يدعون الناس إلى العودة إلى الفضائل الدينية التي رسمت الأسس التي تقوم عليها الحياة  
الاقتصادية . لذلك يحلو لنا أن نبين موقف المفكر الاقتصادي الإسلامي إزاء هذه  
المشاكل الاقتصادية التي حار المفكرون في حلها .

لقد تناول المفكر الإسلامي في شمول وتعمق شئون الاقتصاد أي جهود الناس  
التي يبذلونها لتحصيل معاشهم وزيادة رفاهيتهم ، كما درس علاقات الناس من ناحية  
الأخلاق . ولما كانت الحدود الفاصلة بين علوم الاقتصاد والأخلاق والقانون لا تبلغ في  
دقتها شأن الفوارق القائمة بين العلوم الطبيعية كعلم النبات أو الحيوان . إذ لا بد في  
العلوم الاقتصادية والأخلاقية والشرعية من مجال تتراوح فيه الحدود الفاصلة بينها . لذلك  
تناول الإسلام كافة هذه العلوم مجتمعة حتى لا تتباعد الوجهة الاقتصادية عن الوجهة  
الأخلاقية والشرعية ، وحتى يراعى الناس في تحصيل معاشهم ما هو حلال وما هو حرام  
وما هو مكروه وما هو مندوب .

وإذا كان المنهج العلمي للدراسة يقتضى فصل العلوم الاجتماعية ودراسة كل علم منها  
على انفراد ، إلا أن دراسة علم الاقتصاد على حدة كان من عقباها أن افترض الاقتصاديون  
في دراستهم الآن وجود إنسان تصوري أسموه « الإنسان الاقتصادي » وأن هذا الإنسان  
لا يعمل ولا يبذل أي نشاط اقتصادي إلا يباعث الأثرة وحب الذات ودافع المتعة .

واقترضوا أن هذا الإنسان الاقتصادي له نظير في كل زمان ومكان ، ثم استبعدوا كل باعث آخر يفسد عليهم هذا الغرض . وقد أثارت هذه الطريقة في معالجة الأمور الاقتصادية غضب الكثيرين من المشتغلين بالمسائل الاجتماعية حتى لقبوا علم الاقتصاد « العلم القاتم » .

وإذا كان باعث الأناية أو حب الذات هو الملحوظ في حياتنا المادية الحاضرة ، إلا أن علماء الإسلام قدروا البواعث الدينية والخلقية التي يخضع لها الإنسان في حياته الاقتصادية . ومرد كل هذه البواعث إلى عقيدة أن الإنسان إنما ورد الدنيا ليتزود منها كلاً ما يرجع به إلى عالم أرفع . ومن مقتضيات ذلك أن ينزع الإنسان إلى كسب المال من الوجهة المشروعة ، وأن يتنكب طرق الحيانة والكذب والحيلة ، وأن ينفق ما كسب في الوجهة اللائقة وعلى الوجه الذي ينبغي ، وبالتقدير الذي ينبغي ، لا يأتي منه باطلاً ولا يقتل حقاً عاماً أو خاصاً . وهذه العقيدة هي قوام الحياة الاقتصادية فإذا حرم جيل من الناس من هذه العقيدة ظهر فيه الشقاق والرشوة والاختلاس والشره وهضم حقوق الناس .

من أجل هذا امتزج الفكر الاقتصادي الإسلامي بالعقائد الدينية ودراستها فها هو الإمام محمد بن الحسن الشيباني المتوفى سنة ٢٣٤ هـ وصاحب الإمام أبي حنيفة يضع كتاباً في « الاكتساب في الرزق المستطاب » يبين فيه أن طلب الكسب فرض على كل مسلم كما أن طلب العلم فريضة على كل مسلم ، واستدل على ذلك بما ورد في السنة وما روى من الآثار ، وبحث في التوكل وأنه لا ينافي الكسب والسعي ، وأن الكسب فيه معنى المعاونة على القرب من الله والطاعات وأن المكاسب كلها في الإباحة سواء حق في الحرف الدينية خلافاً لمن زعم أن الحرف الدينية لا تباح إلا للضرورة ، وبين أنواع المكاسب وحصرها في الإجارة والتجارة والزراعة والصناعة ، ثم تكلم عن الإسراف وحدته وبيان الأشياء التي تعد من الإسراف في المأكل والشرب وتحدث في إعانة الرجل أخاه ومن يجب عليه الإعانة .

وها هو حجة الإسلام الغزالي يضع كتاب « إحياء علوم الدين » فيبحث في آداب الكسب والمعاش ، ويستشهد بالآيات القرآنية التي تحث على الكسب والعمل منها : « وجعلنا لكم فيها معاش قليلاً ما تشكرون » « وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله » .

ويروى الأحاديث النبوية منها : « من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الله في طلب

المعيشة « التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء » « إن الله يحب العبد يتخذ المهنة ليستغنى بها عن الناس » « ويغض العبد يتعلم العلم ليتخذ مهنة » . وروى كلمات عطاء المسلمين منها ما قاله عمر بن الخطاب : « لا يقعد أحدكم في طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة » وما قاله أبو سليمان الداراني : « ليست العبادة عندنا أن تصف قدميك وغيرك بقوت لك ؛ ولكن أبدأ برغيفك فأحرزها ثم تعبد » ثم تحدث عن العدل واجتناب الظلم في المعاملة ، ووضع الضابط الكلي في المعاملة ، وهو أن لا يحب لأخيه إلا ما يحب لنفسه ، وفصل هذه القاعدة على الوجه الآتي : (١) أن لا يثني التاجر على السلعة بما ليس فيها (٢) أن لا يكتم من عيوبها وخفايا صفاتها شيئاً (٣) وأن لا يكتم من وزنها ومقدارها شيئاً (٤) وأن لا يكتم من سعرها ما لو عرف الناس لا تمتنعوا عنها ؛ إذ ليس للتاجر أن يغتم فرصة وينتهز غفلة صاحب السلعة ويخفي عن البائع غلاء السعر ، أو عن المشتري هبوط الأسعار ، فإن فعل ذلك كان ظالماً تاركا للعدل والنصح وبين الغزالي الإحسان في المعاملة وأن الإحسان في التجارة يجري مجرى الربح . وروى ما كان من أمر التاجر محمد بن المنكدر ؛ فقد باع غلامه في غيبته شقة من القماش بعشرة وكان الثمن خمسة ، فلما عرف التاجر ذلك لم يزل يطلب الأعرابي المشتري حتى وجده ، فقال له التاجر إن الغلام قد غلط فباعك ما يساوي خمسة بعشرة ، فقال الأعرابي يا هذا قد رضيت ، فقال له التاجر وإن رضيت فإننا لا نرضى لك إلا ما نرضاه لأنفسنا ، فاختر إحدى ثلاث خصال : إما أن تأخذ شقة من العشريات بدراهمك ، وإما أن نرد عليه خمسة ، وإما أن نرد شقتنا وتأخذ دراهمك ، فقال له الأعرابي أعطني خمسة ، فرد عليه خمسة وانصرف الأعرابي وهو يقول : لا إله إلا الله : هذا الذي نستسقي به في البوادي إذا قحطنا ؛ وجوز الغزالي احتمال الغبن في بعض الأحوال فالمشتري إذا اشترى طعاماً من ضعيف أو شيئاً من فقير فلا بأس أن يحتمل الغبن ويتساهل ويكون به محسناً وداخلاً في قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء » أما إذا اشترى من تاجر غنى يطلب الربح زيادة عن حاجته فاحتمال الغبن منه ليس محموداً ، بل هو تضييع مال من غير أجر ولا حمد وفي الحديث « المغبون في الشراء لا محمود ولا مأجور » والكامل في أن لا يُغْبَنَ ولا يُغْبِنَ ، كما وصف بعضهم عمر « كان أكرم من أن يسخد وأعقل من أن يسخدع » .

ووضع ابن خلدون مقدمته الشهيرة ، فبحث في التجارة وماهيتها ونشوءها ، ومقومات الحياة الاقتصادية وإنتاج الثروة ، وصور النشاط الاقتصادي ، ونظرية القيمة والتوزيع ، والنقود ومفاسد التجارة .

ووضع المقرئى كتاب « إغاثة الأمة بكشف الغمة » بحث فيه تاريخ المجاعات التى نزلت بمصر إلى سنة ٨٠٨ هـ وتفحص أسبابها واقترح العلاج الاقتصادى لها ، وتناول طبقات المجتمع المصرى فى عهده .

وفى هذا العصر وضع أحمد بن على الدلقى كتابا فى الفلاحة والمفلوكين : أى الفقر والفقراء بين فيه وجوه المعاش كالتجارة والصناعة والزراعة ، والمساوىء الأخلاقية المترتبة على الفقر ومسئولية الفقير عن فقره .

وعنى الفكر الإسلامى بنظام الحسبة ، وهو نظام يقصد به حمل الناس قسراً على الفضيلة والقضاء على المنكرات الظاهرة ومحاربة الترف ، وقد تناوله الماوردى فى كتابه « الأحكام السلطانية » والإمام أحمد بن تيمية فى كتابه « الحسبة فى الإسلام <sup>(١)</sup> » .

## الاعتدال

بين الجبن والتهور منزلة هى الشجاعة والإقدام ، وبين البخل والإسراف منزلة هى الكرم ، وبين العفو والانتقام منزلة هى العقوبة ، وبين العجز والجهل منزلة هى الحكمة ؛ فليكن من أفضل ما تأخذ به نفسك التريث والتثبت عند النظر فى الفروق بين مشتهى الفضائل والرذائل ، واعلم أنك لا تزال كريماً حتى تنفق مالك فى غير موضعه فإذا أنت مسرف ، وأنت لا تزال حليماً حتى تغضب للباطل فإذا أنت جهول ، وأنت لا تزال جباناً حتى تقاوم عن عرضك فإذا أنت شجاع . وإن كل الناس يعرفون الفضائل والرذائل ويفهمون معانيها ، أما إدراك الفروق بين مشتهياتها عند ملابتها فتلك رتبة العقلاء الأذكياء .

« مصطفى لطفى المنفلوطى »

(١) للبحث بقية ، وموضوع مقالنا القادم « الفكر الاقتصادى الإسلامى والملكية الفردية »

# جوهر العبادة وأفاقها في الإسلام

لفضيلة الأستاذ الشيخ مصطفى الزرقا

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق السورية

العبادة في نظر الإسلام وسيلة لتطهير النفس والعمل .

والناس إنما هم عباد الله وهو خالقهم وسيدهم وإليه مصيرهم ، قسمى التوجه منهم إليه بالمناجاة ، والتعظيم والإذعان باسم العبادة .

وفي جميع الأديان — حتى الأديان الوثنية — عبادات تختلف في أشكالها وشرائطها وغاياتها :

فمن الأديان ما يجعل العبادة انقطاعاً عن متع الدنيا وانعزالاً وتزمتاً ، ومن الأديان ما يشترط للعبادة أما كن خاصة هي المعابد المخصصة فلا تصح العبادة إلا فيها ، ومن الأديان ما يجعل العبادة غير صحيحة إلا بقيادة فريق من الناس هم رجال الدين ؛ فليس للناس عندهم أن يمارسوا العبادات المفروضة عليهم بأنفسهم وفي أما كنهم دون أن يترأسهم أو يقودهم فيها رجال الدين ، وهكذا تختلف الديانات في جوهر العبادة ومراسمها اختلافاً كبيراً وكثيراً .

أما الإسلام فإن نظريته تقوم على اعتبار أن أساس الحياة الصالحة هو صلاح العقل وصلاح النفس وصلاح العمل .

( ١ ) فالإسلام قد جعل الإيمان بالله الواحد المتصف بالكمال المطلق تطهيراً للعقل الإنسانى من درن الوثنية ، وتحريراً له من خرافاتها التي تردُّ العقل إلى خيال أو خبال . فإن الوثنية انحطاط العقل البشرى إلى درك لا يليق بالإنسان ، وقد حارب الإسلام الوثنية في شتى صورها ودرجاتها حتى الحفية التي قد تخفى على فريق من أهل الديانات الذين قد يقيمون على شبه وثنية وهم لا يظنونها ؛ حتى إن الإسلام لا يبيح للإنسان أن يقف للصلاة وأمامه قبر ، ولا يجوز للإنسان أن يحلف بغير الله تعالى ، وذلك إبعاداً عن الوثنية .

ولما رأى عمر رضى الله عنه أن الناس بدأوا يتبركون بالشجرة التي وقعت تحتها



بيعة الصحابة للنبي عليه الصلاة والسلام على الموت يوم الحديبية خاف عمر على عقيدة الناس في هذه الشجرة ققطعها ، وبذلك قطع الإسلام طريق الشبهة التي يتخبط فيها العقل البشري في عدم التمييز بين المخلوق والخالق ، وأخرجه من جو الوهم والخيال إلى محيط الحقائق .

(ب) والعبادة جعلها الإسلام طريقاً مؤدية إلى تطهير النفس والعمل من السيئات والآثام ، وأقام الإسلام العبادة على أسس كفيلة بهذا التطهير إذا حسنت ممارستها وحفوظ على جوهرها .

١ — فالإسلام أولاً قد حرر العبادة من الوساطة بين العابد والمعبود ، وجعلها صلة مباشرة بين العبد وربّه دون وساطة أحد .

فعلماء الدين في شريعة الإسلام ليسوا وسطاء بين العبد وربّه ، وليس عن طريقهم قبول العبادة أو رفضها ، بل هم وغيرهم سواء تجاه الله تعالى ، وإنما هم مكلفون بتعليم من لا يعلم وأن لا يكتموا العلم عن طالبه ، فهم أكثر مسئولية أمام الله تعالى عن أنفسهم وعن غيرهم ممن لا يعلمون : أي أن علماء الدين في الإسلام ليس لهم سلطة دينية تخولهم إياها الشريعة على غيرهم ، وإنما هم مرشدون . وأصل هذا قوله تعالى خطاباً لنبيه الكريم : « فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر » وقوله تعالى « ليس لك من الأمر شيء » وقول النبي عليه الصلاة والسلام خطاباً لابنته فاطمة الزهراء رضي الله عنها : « يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئاً » .

٢ — وكما حرر الإسلام العبادة من قيد الوساطة حررها أيضاً من قيد المكان ؛ فكل مكان يعتبر في نظر الإسلام صالحاً للتعبّد ، سواء أكان بيتاً أو برية أو سفينة في عرض البحر ، أو مسجداً مخصصاً للعبادة ، فالإنسان يستطيع أن يتجه إلى ربه ويصل به قلبه بالعبادة في كل مكان .

وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام « جُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً » .

٣ — والإسلام قد وسع كثيراً من مفهوم العبادة ؛ فليس التعبّد في نظر الإسلام مقصوراً على الصلوات والأذكار التي يقف فيها الإنسان موقف المناجاة والعبودية مع ربه ، بل إن كل عمل صالح يفعله الإنسان مخلصاً فيه امتثالاً لأمر ربه وابتغاء لمرضاته هو عبادة يثاب فاعلها ثواب المتعبدين ، ولو كان ذلك العمل من مشتبهات الفاعل وحظوظه الحيوية .

فالأكل والشرب والنوم والنزهة البريئة وسائر الأعمال الحيوية التي تتطلبها طبيعة

الإنسان وله فيها حظ ولذة ، إذا فعلها الإنسان بنية دينية بأن ينوى أنه إنما يفعلها امتثالاً لأمر الله تعالى فيما أباح له ، وسعيًا في كفاف نفسه بالحلال وإعفافها عن الحرام وتقوية جسمه بالأكل والنوم والرياضة والنزهة ، كي يصبح قادرًا على القيام بالواجبات التي أوجبها عليه ، ويكون ذلك المؤمن القوي الذي يقول عنه النبي صلى الله عليه وسلم : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » فإن جميع هذه الأعمال الحيوية التي تنطوي على حظوظ النفس ومتعتها تصبح عندئذ بهذه النية الصالحة عبادة فيقترب الإنسان إلى الله زلفى ، وهو في بحبوحة حظه ومتعته لأنه قد توجه بنيته الصالحة فيها إلى الله تعالى وسخرها في سبيل مرضاته ، فكان في هذه الحظوظ والمتع طاعة وإذعان وتوجه إلى الله ، وهذا معنى العبادة .

فالإسلام لا يحرم على الإنسان حظوظه الطبيعية ، وشهواته الغريزية ، بل ولا يجعل زهده فيها وإعراضه عنها أفضل من ممارستها ، وإنما يريد الإسلام من الإنسان أن يسلك بهذه الحظوظ والمتع سبيلًا مباحة ومشروعة ، لا يتجاوز فيها ولاعدوان على حقوق الناس ، أو على حدود الفضيلة ، أو على مصالح المجتمع .

والدين الإسلامى له في هذا التوسيع لمعنى العبادة فلسفة ونظرة عميقتان ؛ فهو يريد من الإنسان أن يكون قلبه دائم الصلة بربه غير غافل عنه ، كثير المراقبة لنفسه ونزواتها حتى يجعل ديناه وسيلة لآخرته ، كما يقول القرآن العظيم : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة » . فإذا عرف أن حظوظه وملذاته يمكن أن تصبح عبادات بحسن النية ، وطيب الطوية ، كان ذلك عليه يسيرًا ، لأن العبادة الدائمة لا تكلفه عندئذ حرمانه من الحظوظ وشقاوة الحياة ، وإنما يكفيه رأس مال لها النية الصالحة ومراقبة الله عز وجل كي يجعل هدفه — وهو في متعته وحظوظه — طاعة لله وابتغاء رضاه ، فلا تنطفي عليه شهواته ، فتنتيه بربه وتدفع به إلى العرق في لجة المفاسد مع كل فاسد . وعلى هذا أخبر النبي عليه الصلاة والسلام أن الإنسان يعد مأجورًا إذا رفع اللقمة إلى فم امرأته بنية إيناسها والإحسان إليها ، وتوطيد المودة الزوجية التي عناها الله تعالى بقوله في القرآن العظيم « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة » . وعلى هذا الأساس أيضا صرح الفقهاء وعلماء الشريعة أن النية الصالحة تغلب العادة عبادة فمن الناس من يأكل ويتمتع ويكون أكله ومتعته عملية حيوانية طبيعية . لأنه لم يفكر حين فعله إلا في إرواء غليله ، وإرضاء ميوله .

ومن الناس من يأكل ويتمتع أيضًا نظير الأول ويكون أكله ومتعته عبادة مأجورة

لأنه إنما فعل على نية الامتثال وتقوى الله فيما حلل وحرم ، والتقوى على القيام بما أوجب عليه .

والفارق بين الرجلين بهذه النية أن الأول تكون شهواته وحظوظه مزالقة تنزلق به في كثير من الأوقات إلى الحرمان لفقلته وعدم تفكيره إلا في حظه ولذته ، بينما الثاني تكون نيته النبيلة وتفكيره السامى حاجزاً بينه وبين الانزلاق إلى الرذيلة ، ولا يمنعه ذلك من أن يتمتع بمتع الحياة ويستوفي حظوظها ، وإنما الفارق بينهما أن أحدهما مراقب لله والآخر غافل عنه ؛ وهذا ما جعل أحدهما في متعة إنساناً متعبداً ، والآخر حيواناً راتعاً كما يقول الله تعالى في القرآن العظيم : « والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم » .

فإذا كان الإنسان بحسن النية يستطيع أن يجعل متعته ولذته عبادة ، فما أخسر الغافلين !!! إنهم يخسرون آخرتهم ، ولو أرادوا لكسبها برأس مال يسير لا يحرمهم حظوظهم وملذاتهم وهو النية المراقبة التي تحافظ على استقامة الاتجاه ، وتجعل قلب الإنسان مع الله .

هذه هي فلسفة الإسلام في العبادة : يسر سبلها وسهل وسائلها وجعل عمادها صلاح النية ، فشملت جميع الأعمال الحيوية ورقبت بالنفس الإنسانية إلى مكانة رفيعة تليق بها دون أن تكبت غرائزها ، أو تمنعها لذائذها .

وإذا كان الإسلام قد وسع معنى العبادة فشمل به سائر الأعمال الحيوية التي تمارس بفكرة الامتثال والانقياد لأمر الله تعالى حتى استباحة المباحات والتمتع بالمتع ، فليس ذلك بمنع عن القيام بفرائض العبادات المفروضة من صيام وصلاة وحج وزكاة ، لأن هذه الفرائض في نظر الإسلام هي المراكز الأساسية الثابتة للاتصال بالله ، وأن نية الامتثال في سائر الأعمال هي من الأمور الباطنة ، فلا يتميز بها من يتبع الدين عن سواء ، والدين ظاهر وباطن وليس باطناً فقط .

أفمن الغرور والعجز والتضليل بالباطل ما يقوله المتساهلون في فرائض العبادة ، إن الأساس طيب القلب وصلاح النية والعمل ، وليس الدين بالصلاة والصيام : فهو لاء يسيئون الفهم عمداً كسلاً ، وفي طريقته هذه بترك الفرائض هدم لمعالم الدين ، فكل جاحد عندئذ يدعى أنه أعبد العابدين ؛ ولذا قال النبي عليه السلام : « الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين » .

هذا وإن الإسلام بهذا التعميم في معنى العبادة إنما يهدف بذلك إلى جعل الدين

والإيمان طريقاً عملياً لإصلاح الحياة البشرية ومجابهة الإنسان لمصاعبها بصبر كريم ،  
وصدر حلیم ، وسعى للخير المشترك ، ومكافحة للفساد .

ومن ثم كان الإسلام بهذه المبادئ محارباً للفلسفة الانهزامية الانعزالية التي سماها  
العلماء بالنسك الأعجمي ، وهو النسك الحاطيء الذي يقوم على التزمت واجتناب وسائل  
الحياة واعتزال العمل وتهذل القوى ، فذلك ليس من الإسلام في شيء ، بل هو انهزام  
في معترك الحياة التي تحتاج إلى القوة والفنى والعمل ، ذلك المعتك الذي يجب فيه حسن  
التوجيه حتى تصرف هذه القوى في الخير العام ؛ وهذا ما تكفل به الإسلام في أسلوب  
العبادة التي تضمن هذا التوجيه بقدر الإمكان .

وقد روى عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها رأت رجلاً خافئاً متهاوئاً منحنياً  
من الضعف والناس ترمقه فسألت ما شأنه قالوا : هذا زاهد ، فاستنكرت عائشة هذا  
النوع من الزهد وقالت : كان عمر بن الخطاب أزهد الناس ، وكان إذا قال أسمع ، وإذا  
مشى أسرع ، وإذا ضرب أوجع .

### افتقار ... واستغناء ...

قال عبد الله بن المقفع : ليجمع في قلبك الافتقار إلى الناس والاستغناء عنهم .  
وليكن افتقارك إليهم في لين كلتك لهم ، وحسن بشرك بهم ، ويكون استغناؤك عنهم  
في نزاهة عرضك ، وبقاء عزك .

# مَقَدِّمَاتُ الْجِهَادِ

لِلأستاذ السيد محب الدين الخطيب

لقد وجب الجهاد . . .

وقد وجب علينا جميعاً ، كل من الناحية التي هو فيها .

وقد يكون الجهاد بالسلاح آخر النواحي التي وجب علينا الجهاد منها ، وأما أولها فهو أن نصلح ما بيننا وبين الله ، وأن نصلح ما بيننا وبين أنفسنا .

إن الجهاد عبادة ، وللعبادة في الإسلام مقدمات ، وأقدس مقدماته ثلاث : النية ، والطهارة ، والنظام .

كل واحد منا أصبح الآن في جهاد ، فالتاجر في حانوته — إذا عرف كيف يحسن النية — هو عند الله في جهاد ، وله مثل أجر المجاهدين .

والموظف وراء مكتبه — إذا عرف كيف يحسن النية — هو عند الله في جهاد ، وله مثل أجر المجاهدين .

والعامل في المصنع الذي يعمل فيه — إذا عرف كيف يحسن النية — هو عند الله في جهاد ، وله مثل أجر المجاهدين .

والذي يدير حركة المصنع بأمواله وتديره — إذا عرف كيف يحسن النية — هو عند الله في جهاد ، وله مثل أجر المجاهدين .

والذين يملك الواحد منهم ألف فدان من الأرض الزراعية فأكثر — إذا عرفوا كيف يحسنون النية — هم عند الله في جهاد ، ولهم مثل أجر المجاهدين .

( النية ) أمرها عظيم في الإسلام ، لأنها نجوى بين الإنسان وربه ، فهي كإبرة الملاح إذا أراد أن يتوجه بسفينته إلى جهة يقصدها لا يغالط نفسه فيتوجه إلى غير ما توجهه إليه إبرته المغناطيسية . وما دام الجهاد عبادة ، فكما يتوجه المصلي نحو القبلة وهو ينوي الصلاة ، فعلى المجاهد أن يتوجه إلى مرضاة الله وهو يلتمس منه المعونة ويستترئز من عنده رغائب النصر ووسائل التوفيق .



والتماس مرضاة الله ركن (الطهارة) للتعبد بالجهاد . والله لا يرضيه من التاجر وهو يرى بلاده في حالة جهاد مع عدو مختل قوى غدار ، أن يلوث طهارة جهاده بمحاولة الغدر والختل للحصول على الكسب الحرام ، وإلا فسدت نيته التي ناجى بها الله ليثبه مثل أجر المجاهدين ، وكان بما حاوله من الختل والغدر ليحصل من مواطنيه وبني ملته على الكسب الحرام شريكاً للعدو الذي يحاربنا بختله وغدره ، وبأبوس أمة تقف موقف الجهاد من عدو مختل غدار ويكون في صفه تجار من أبناء هذه الأمة يحاربونها مع العدو بسلاح الغدر والختل .

والموظف الذي يأخذ في آخر الشهر أجر عمله من الضرائب التي يؤديها أفراد الشعب من عرق جباههم ، يأخذ أجره حلالاً ويكون ما يتغذى به أهله من هذا المال هنيئاً مريئاً ، إذا كانت نجواه بينه وبين ربه صادقة في تأييده لجهاد أمته ، والتماسه من الله مثل ثواب المجاهدين . وأول علامات ذلك تسهيله أعمال مواطنيه وتيسيره وصول الحقوق إلى أربابها ، أما إذا عرقل مصالح أصحاب المصالح من أمته ليحصل منهم على شيء من الكسب الحرام فإنه يكون كاذباً على الله فيما زعمه في نجواه بينه وبين ربه من أنه مؤيد لجهاد أمته للخلاص من العدو القوي الغدار المختل ، بل يكون هو نفسه من أعداء الأمة الغدارين المختلين ، والغذاء الذي يقدمه لأولاده من المال الحرام يسرى في شرايينهم محموماً وغسليناً ثم يكون وقوداً لنار جهنم .

والعامل الذي يعمل في المصنع ليسهم في الحياة الاقتصادية لوطن يجاهد للخلاص من عدو قوى غدار مختل ، سيجعل الله ما يتناوله من أجر على عمله هنيئاً مريئاً له ولذويه في بيته ما أخلص العمل لمصنعه ولأتمته في حياتها الاقتصادية ، وسيحشره الله في زمرة المجاهدين حتى لو لم يُدعَ لحمل السلاح ، لأنه في الواقع يجاهد في سبيل سعادة وطنه وتنمية ثروة أمته وإغنائها عن الحاجة إلى الأجنبي . أما إذا سرق من الوقت الذي يتناول أجره على العمل فيه ، وإذا تهاون في عمله فأخرجه ضعيفاً تافهاً وفي إمكانه أن يخرج أجيالاً أفضل ، فإنه يكون حينئذ شريكاً للعدو في الغدر بهذه الأمة والختل في حقوقها ، ويحشره الله مع الغادرين المختلين .

والذين يديرون حركة المصانع بأموالهم وتديرونها إذا أحسنوا النية في نجواهم مع الله أن يكونوا في طليعة المجاهدين في سبيله ، ويوشك إذا كانت نيتهم هزيلة وضيقة النطاق بحيث لا تتجاوز حدود أنانياتهم وجشعهم أن يكونوا بذلك في زمرة الأعداء الذين يعتمدون على قوتهم المادية ليعتالوا من الأمة حقها ويستبدوا

بمصلحتها مدفوعين إلى ذلك بأنانيتهم وجشعهم ، ويا ويل من يرضى لنفسه بأن يكون من أمته بمنزلة أعدائها ، ومن كان في إمكانه أن يكون في طليعة المجاهدين الذين يحسنون إلى أنفسهم بصالح العمل ، فيعكس الآية ، ويكفر نعمة الله عليه ، ويجعل أمواله قوة على أمته وكان يجب أن تكون قوة لها .

أما مواطنونا وأعياننا الذين ملكهم الله ما استخلفهم عليه من واسع الأرضين ، وشاسع الحقول والمزارع والبساتين ، فإن الله عز وجل قد أتاح لهم اليوم أعظم الفرص ليقيموا لأنفسهم وليوتهم معالم المجد وخالد الذكر بتيسير العيش على أمة وطنت نفسها على الدخول في غمار جهاد طويل لن ترجع عنه مهما تجشمت في سبيله وتحملت من أذى . وإن النصر يلتمسه طالبوه بالتراحم فيما بينهم ، وبالإيثار الذي توارثته هذه الأمة جيل بعد جيل عن الجيل الذي تعلم الخير من معلم الناس الخير صلوات الله وسلامه عليه ، وقد تحدثت الصحف عن نية الحكومة في تخفيض إيجار الأراضي الزراعية لتخفيض بذلك أسعار محاصيلها وهي قوت الشعب وعصب الجهاد ، فتهدون المعيشة على أمة تتقدم بمجموعها لحوض غمرات أعظم جهاد عرفته مصر من ألف سنة ، لانه جهاد أمة ستكون كلها جيشاً واحداً يتحول إلى سيوف من سيوف الله تتم بها معجزة أخرى من معجزات الله التي يتمها الله على أيدي هذه الأمة بين كل فترة وفترة من فترات الدهر . والأمل في أصحاب هذه الأراضي — ولاسيما أصحاب الأرقام الكبيرة منها لأن الناس لهم تبع — أن يسبقوا الحكومة فلا يحوجوها — تحت ضغط الرأي العام — إلى سن قانون لذلك فيحرموا من ثواب الرضا بهذا التخفيض حسبة لله فيما يحبه ، واتضامناً مع الأمة في جهادها المنتظر ، وتراحماً بين الطبقات استدراراً لرحمة الله واستعطافاً للنصر من عنده . إن تخفيض أجور الأراضي الزراعية ولو إلى ضعف ما كانت عليه قبل الحرب — إن لم نقل مثل ما كانت عليه قبل الحرب — هو سلاح معنوي تتسلح به هذه الأمة التي قطع عليها اللصوص طريق استيراد الأسلحة المادية ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ، وإذا انتعشت الأمة بهذا السلاح المعنوي فإن رجالها ونساءها سيتحولون إلى أسود في أجمة يقفون في وجوه أعدائهم بالروح العالية التي كان يشعر بها المسلمون الأولون يوم مشيت كتائبهم لتقويض دواقي كسرى وقيصر ، وبهذا التراحم تستطيع مصر أن ترغم عدوها ، وأن تقوض دعائم الاستعمار لافي وادي النيل وحده ، بل في شمال إفريقية إلى آخر الطريق الذي اجتازه عقبة بن عامر فاتحاً ظافراً .

هذه هي ( الطهارة ) التي يشترطها الإسلام لنوع من عباداته يسجبه ( الجهاد ) .  
والمجاهد الصادق مغفور له كل شيء إلا حقوق العباد ، فإن الله لا يغفر لأحد أن يعمط  
شيئاً من حقوق عباده .

والشرط الثالث بعد النية والطهارة هو ( النظام ) الذي تعلمناه من ( تسوية  
الصفوف ) في الصلاة ، لنطبقه في ( تسوية الصفوف ) للجهاد .

فإذا أحسنا ( النية ) في النجوى بيننا وبين الله ، وإذا ( تطهرنا ) من الأنانية  
والحتل والغدر ، وكنا أمة متعاونة متراحمة ، وإذا سوينا الصفوف وقام كل منا بالجهاد  
من ناحيته حيثما كان ، فإن الإسلام يضمن لأبنائه أن يكونوا اليوم منصورين ظافرين ،  
كما كانوا في أمس منصورين ظافرين « إن تنصروا الله ينصركم » .

## النية . . .

. . . وقد لا يستطيع المؤمن أن يأتي الخير في بعض أحواله ، ولكنه يستطيع  
دائماً أن ينويه ويرغب فيه ويعزم عليه ليحقق ضميره الطيب في كل ما يهم به ويحصر  
أفكاره في قانون نيته المؤمنة . وهذا هو الأساس في علم الأخلاق ، لأساس من دونه .  
والنية من بعد هي حارس العمل ، فكل إنسان يستطيع أن يدعن وأن يأتي ،  
ومن ثم تكون هذه النية رداً ومدافعة من ناحية ، واستجابة ومطابقة من الناحية  
الأخرى ، فهي على الحقيقة متى صلحت كانت استقلالاً تاماً للإرادة ، وكانت مع ذلك  
ضبطاً لهذه الإرادة على حال واحدة هي التي ينتظم بها قانون المبدأ السامي .

ثم إنه لا ضابط لصحة العمل واستقامته إلا النية الصحيحة المستقيمة ، فالزور والتلبس  
كلاهما سهل ميسور في الأعمال ، ولكنها مستحيلان في النية إذا خلصت .

وهي كذلك ضابط للفضائل توجه القلوب على اختلافها وتفاوتها اتجاهات واحداً  
لا يختلف ، فيكون طريق ما بين الإنسان والإنسان من ناحية الطريق ما بين الإنسان  
وبين الله .

« مصطفى صادق الرافعي »

# الإسلام : حرية وإنسانية

للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

أستاذ الشريعة الإسلامية المساعد بكلية الحقوق بجامعة فؤاد

نحن في بداية عام جديد من أعوام هذا الزمن الذي لا تعرف له بداية أو نهاية ، وقد أظننا الشهر الذي ولد فيه رسول الإسلام الخالد على الدهر وأحداثه ، والحكام ، في الإسلام وقبل الإسلام ، قد دأبو على النصيحة بأن يحاسب المرء نفسه في نهاية كل يوم وشهر وعام ؛ وهذا ليفرح بما يكون قد قدّم من خير ، ويندم على ما قد يكون اجترح من شر ، وليحاول أن يجعل نفسه في غده خيراً منه في أمسه .

وفي المسلمين ، بحمد الله ، كثيرون يغبطون أنفسهم حين يقومون بهذا الحساب ، وهم الذين من أجلهم نعيش بخير ونعمة من الله . وفي المسلمين ، بكل أسف ، كثير أيضاً حربون إن قاموا بهذا الحساب ألا تذوق أعينهم النوم لهول ما هم عليه من سوء . وحسبنا أن نذكر أن من هؤلاء من فقد في نفسه الطابع المميز للإسلام وهو التوحيد الحق والحرية الحقة ، وهذان اللفظان يعبران في رأينا إلى حد كبير عن مفهوم واحد ، وهو تحقيق معنى الإنسانية في الإنسان ، وتحرير نفسه من عبادة غير الله ، سواء كان هذا « الغير » أصناماً من حجر أو من لحم ودم .

\*\*\*

لقد جاء الإسلام والعالم قد انقطع عن الحق وضل عن سواء السبيل . فاليهود والنصارى ، إلا القلة القليلة التي بقيت على دين إبراهيم ، قد « اتخذوا أجبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم » . وفي فارس ، رأينا الأكاسرة ، وقد رأوا أنه لا أمر فوق أمرهم ، صاروا يعدون أنفسهم أشبه بالآلهة في السلطان والجبروت . كما رأينا ثنوية « ماني » التي كانت تقول بإله للخير وآخر للشر ، وإباحية « مزدك » الشيوعية التي ما كان يمكن أن يقوم على أساسها مجتمع صالح . وفي الروم كان الأمر شبيهاً بما كان عند فارس من جبروت السادة وعسف الأقوياء بالضعفاء حتى ليتخذونهم خولا وأنعاماً وعبداً لهم . هذا ، إلى جدل فارغ عنيف في مسائل الدين ، وسفسطة



مذهبية جلبتها الروح الإغريقية إلى اللاهوت المسيحي ، وكان من ذلك أن تزعت أصول العقيدة الدينية ذاتها .

هكذا كان الحال في فارس والروم ، وفي الأقاليم التي كانت اليهودية والمسيحية منتشرة فيها . ولم يكن الحال بأفضل من ذلك في بلاد الغرب ، سواء في الناحية الدينية أو الاجتماعية . ففي المجتمع ، كانت الفرقة الشاملة نتيجة للروح العقلية التي كانت تسودهم ، وامتهان الإنسانية الذي يتمثل في وأد البنات واسترقاق الأسير . وفي ناحية الدين ، كان حق الرأي وضلال العقل والفكر ، حتى كانوا يعبدون ما ينجون من تُمائيل ، ويتخذون أرباباً ما يصنعون من أوثان وأصنام . وقد وصل بهم الأمر في هذه الناحية إلى ما يقول ابن إسحق في سيرته : « واتخذ أهل كل دار صنما يعبدونه ؛ فإذا أراد الرجل منهم سفراً تمسح به حين يركب ، فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجه إلى سفره ، وإذا قدم من سفره تمسح به ، فكان ذلك أول ما يبدأ به قبل أن يدخل على أهله (١) » ولقد كان الرجل ، كما يقول الكلبي في كتاب الأصنام (٢) : « إذا سافر فزل منزلاً أخذ أربعة أحجار فظفر إلى أحسنها فاتخذ رباً ، وجعل الثلاثة الباقية أثافيً لقدره ، وإذا ارتحل تركه ، وإذا نزل منزلاً آخر فعل مثل ذلك » ! أي سخرية بالعقل . وضلالة في الفكر ، أكبر من هذا الصنيع ! !

كان العالم إذاً ، شرقيه وغربيه ، بحاجة إلى دين جديد ، ولو لا هذه الحاجة الملحة ما اتصلت السماء بالأرض لتوحى إليها بهذا الدين الجديد ورسالته ، وهو الإسلام ؛ فإن هذا الاتصال ، وهو خرق لقوانين الطبيعة ، لا يكون إلا حين تدعو الحاجة العاجلة والضرورة المطلقة .

كذلك كان الأمر حين ظهر الإسلام ، وجاء وحى السماء بدين جديد يوائم الإنسانية حين بلغت رشدتها ، وبعد أن استنفدت كل من اليهودية والمسيحية أغراضها ، ويوائم دائماً العالم في كل ما يمر به من مراحل حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

وكان من هذا — كما يقول المؤرخ الإيطالي الأشهر « كيناني » ، في كتابه « حوليات الإسلام » ج ٢ : ١٠٤٦ — أنه « لما أهلت آخر الأمر أنباء الوحي الجديد فجأة من الصحراء ، لم تعد تلك المسيحية — التي اختلطت بالغش والزيف ، وتمزقت بفعل الانقسامات الداخلية وتزعزت عقائدها الأساسية ، واستولى على رجالها اليأس

(١) سيرة ابن هشام . طبعة مصطفى محمد . ج ١ : ٨٦ — ٨٧ .

(٢) طبعة دار الكتب ، ص ٣٣ .



والقنوط من هذه الريب — قادرة على مقاومة إغراء هذا الدين الجديد الذى بدد بضربة من ضرباته كل الشكوك التافهة ، وقدم مزايا مادية جليلة إلى جانب مبادئه الواضحة البسيطة التى لا تقبل الجدل ، وحينئذ ترك الشرق للمسيح ، وارتضى فى أحضان نبي العرب « ، ولا عجب ! فقد « منح الإسلام العبد رجاء ، والإنسانية إخاء ، ووهب الناس إدراكا للحقائق الأساسية التى تقوم عليها الطبيعة البشرية » . كما يقول « تيلور — Taylor » أحد الكتاب الإنجليز المعروفين (١) .

ومن الحق أن نذكر هنا أن نجاح المسلمين الأوائل فى دعوتهم وفتوحاتهم ، قد اتخذ المسيحيون وغيرهم من خصومهم دليلاً على صدق دينهم ، وأنه حقاً رسالة من الله يؤيدها بعونه لصالح العالم كله . كما أنه كان لأخلاق القائمين على هذا الدين ودولته الفتية أثر كبير فى هذا السيل . ولسنا نقف ، فى الاستشهاد على هذا ، عند رجالات الإسلام وأمرائه الأولين ، بل تتعدى تلك العصور إلى عصر متأخر مثل العصر الذى ظهر فيه البطل العظيم صلاح الدين الأيوبي ، وهنا ترك السير توماس أرنولد نفسه ، صاحب كتاب الدعوة إلى الإسلام ، يتحدثنا عن هذا ، وكفى الإسلام شاهداً من غير أهله ! إنه يقول : « ويظهر إن أخلاق صلاح الدين ، وحياته التى انطوت على البطولة ، وقد أحدثت فى أذهان المسيحيين فى عصره تأثيراً سحرياً خاصاً ، حتى إن نقرأ من الفرسان المسيحيين قد بلغ من قوة انجذابهم إليه أنهم هجروا ديانتهم المسيحية وهجروا قومهم وانضموا إلى المسلمين ، وكذلك كانت الحال عندما طرح النصرانية مثلاً ، فارس إنجليزى من فرسان المعبد ، يدعى « روبرت سان ألبانس » (Robert of S.T. Albans) فى سنة ١١٨٥ م ، واعتنق الإسلام ، ثم تزوج بإحدى حفيدات صلاح الدين . وبعد عامين غزا صلاح الدين فلسطين وهزم الجيش المسيحى هزيمة منكرة فى واقعة حطين ، وكان « جوى — Guy » ملك بيت المقدس بين الأسرى ، وحدث فى مساء المعركة أن ترك الملك ستة من فرسانه ، وفروا إلى معسكر صلاح الدين حيث أسلموا بمحض إرادتهم (٢) .

\*\*\*

(١) كتاب الدعوة إلى الإسلام ، تأليف السير توماس أرنولد ، وترجمة الدكتور حسن إبراهيم حسن وآخرين ، نشر مكتبة النهضة ، ص ٦٦ — ٦٧ .  
(٢) الدعوة إلى الإسلام ص ٨٢ — ٨٣ .

والآن ، بعد هذه الإلماعة إلى حال العالم قبيل الإسلام ، والأسباب التي اقتضت ظهوره ، والعوامل التي عملت على انتشاره ، وما كان لأخلاق القائمين به وعليه من أثر كبير في الأجداد التي حصل عليها — الآن بعد هذا ، علينا أن نبين ما ذكرناه أول الحديث ، وهو أن الإسلام هو دين الحرية واحترام ما في الإنسان من إنسانية ، وهذا مالا يبعد بحال ما عما اعتدنا تقريره من أن الإسلام هو دين التوحيد .

جاء في لسان العرب : الحر من الناس أختيارهم وأفاضلهم . ويقال : هو من حرية قومه : أي من خالصهم .

ويقول « أوجست كونت » الفيلسوف الاجتماعي المعروف : « أحسن ما يكون لنا من حرية ، هو أن نعمل بقدر استطاعتنا في سيادة الميول الطيبة على السيئة » .

ويرى « هيمون (Hemon) » أن الحرية هي سيطرة المرء على نفسه ، وذلك بعمل العقل للفكر والإرادة ضد الشهوة والهوى .

ويقدر « إبيكتيت » الفيلسوف الرواقى المعروف ، أن على من يريد أن يكون حراً ألا يرجو أو يخاف شيئاً يملكه غيره ، وإلا فلن يكون حتماً إلا رقيقاً . ونعلم ، بجانب هذا وذاك كله ، أن الحرية تشمل فيما تشمل أيضاً تحرر العقل من الضلالات والتقاليد الباطلة ، كما تشمل حرية العقيدة والفكر والإرادة والعمل ، مادام ذلك لا يضر بالغير ولا بالصالح العام .

تلك هي المعاني الجديرة بالذكر لكلمة « حرية » في التفكير الشرقي والغربي . والإسلام قد جاء بتقرير هذه الحرية على كافة ضروبها وألوانها . إنه أقام الحرب العوان على عبادة الأوثان والأصنام حتى تكون العبادة لله وحده ، ودعا بقوة إلى نبذ ما كان عليه الآباء والأسلاف من ضلالات وتقاليد ليست من الحق في شيء ، وبعد هذا نراه يلفتنا بقوة إلى أنه ليس من العقل أن يتخذ بعضنا أرباباً من دون الله ، أو أن يستذل القوى منا الضعيف ، وفي هذا نرى الفاروق رضوان الله عليه يقول قولته التي لا تزال تجلجل أبد الدهر : لم تستعبدون الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟

ثم بعد هذا وذاك ، نجد الإسلام ينمى بشدة على من اتخذ إلهه هواه ،

وجعل شهواته تسيطر على أكرم جزء منه وهو العقل ، ذلك بأن الحرية الحقة هي حرية للرء لا يستعبده هواه وغرائزه وشهواته ، فلا ينزل فيما يأتي ويقرر إلا على حكم عقله الرشيد .

ومن احتفال الإسلام بالحرية لكل مخلوق ، نراه لا يجعل بين الله وعباده وسطاء من خلقه يحللون له ويحرمون ، كما نرى الأمر في المسيحية ، بل جعل لكل من الخلائق أن يتصل بالخالق — جل وعلا — بنفسه ، ويناجيه ويدعوه ويستغفره ليحله بفضله من ذنوبه إن تاب .

ومن عناية الإسلام بالحرية وقدرها قدرها ، نرى الفقهاء الشرعيين يقررون أنه إذا وجد طفل بين نصراني يدعى أنه ابنه ، ومسلم يدعى أنه عبده ، يقضى به للنصراني ليكون حراً ، وبعد هذا قد يصل للإسلام بنفسه متى كبر وعقل الدلائل على وجود الله وبعثة رسوله المصطفى بالإسلام أكمل الأديان .

ويتصل بهذا ، ما يراه الإمام الأعظم أبو حنيفة من أنه لا يجوز الحجز على السفينة حفظاً لماله من الضياع . ذلك بأنه يرى أن الحجز وإن كان وسيلة لحفظ المال على المحجور عليه ، إلا أن فيه امتحاناً لإنسانيته ، وفضل « الإنسانية » على المال معروف غير منكور . ولا يمنعنا هذا التعليل من جانب أبي حنيفة للرأى الذى يرى ، من أن نقول إنه قد يكون هناك تعليل آخر اقتصادى . إن المال بطبيعته غاد ورائح ، وإن عمارة العالم فى أن ينتقل المال من يد إلى يد حتى لا يكون دولة بين أناس بأعيانهم يظلون دائماً أغنياء ويظل غيرهم دائماً فقراء .

ليس المهم فى نظرنا أن يكون الإمام أبو حنيفة قد أدرك هذا المعنى الثانى ، أو لم يدركه ، فى تحريمه الحجز على السفينة ، ولكن المهم بيان الملحظ الأول من وجوب اعتبار « الإنسانية » وعدم امتحانها فى أى إنسان . وفى عدم الحجز على السفينة — احتراماً لما فيه من « إنسانية » — تحقيق لدوام تمتعه بالحرية التى يحرص الإسلام عليها حرصاً شديداً كما رأينا . وهل أدل على هذا بجانب ما تقدم ، من أن القرآن يقول فى سورة البقرة : « لا إكراه فى الدين » كما يقول فى سورة يونس : « أفأنت تكسر الناس حتى يكونوا مؤمنين » !

وبعد ! أين نحن في هذه الأيام من هذا الذى هو الطابع المميز للإسلام ؟  
نعنى التحرر من عبادة الأصنام الآدمية ، والتحرر من الهوى والشهوات ،  
والتحرر من التقاليد القذالة التى لا تستند لها إلا الإلalf والعادة ومرور الزمن ؟  
رباه ! ما أشبه الليلة بالبارحة ، وما أحوجنا اليوم إلى العودة إلى الإسلام  
من جديد ! فالإيمان بالله وحده لا نكاد نجده فى كثير منا مادما نشرك معه  
السادة والكبراء ، فترجوم ونغشام نخشية الله أو أشد خشية ! وبهذا قامت  
بيننا ، بدل عبادة الأصنام من حجر ، عبادة أصنام محدثة من لحم ودم ، ثم  
حرية المرء فى نفسه ، بسيطرة العقل على الهوى ، فقدناها إلى حد كبير ،  
إذ تركنا القياد إلى الشهوات ، وصار الهوى هو الإله المعبود !

مق يارب تتحرر من هذه الأدواء ؟ ومق نعود أحراراً فلا نعبد إلا الله  
وحده ، ولا نرجو ولا نخشى غيره ؟ ومق نتحرر من أهوائنا وشهواتنا  
الجامحة ، فلا نخضع لغير حكم العقل السديد ؟ نرجو أن تأخذ فى الأسباب ،  
وأن يكون هذا قريباً . والله المستعان .

## من الأدب النبوى

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا ، وَزِنُوا أَعْمَالَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنَ عَلَيْكُمْ . »

## عزلة ١١

« ليست عزلة يفر بها الرجل من سائر الناس ، ولكنها العزلة التي يفر بها إلى فكرته يستلهمها ، وإلى من آمن لإيمانه لا تمدو عيناه عنهم »

« . . . تحرك الليلة في نفسى خاطر شديد وهو أن ( العزلة ) إلى حد كبير لا مفر منها لأولئك الذين يحملون كلمة الله في هذا العصر الدائر . . . لا مفر منها على الأقل في المرحلة الأولى : مرحلة الصهر والتكوين . . . مرحلة التصفية والتنظيف . ولا أظن دعوة تناولت أخلاق الناس بالتغيير إلا وتميزت بهذه العزلة ، حتى يكون اندفاعها الأول من مركز واحد لا تتجاوزها عنده الأعاصير . . إن الدفعة الأولى هي التي تقر جذور مجد الدعوة المأمول . . فإذا سبق كائن غريب إلى أحد الجذور فقد اتخذ به الشيطان لنفسه متكأ في الأعماق . . . واستطاع أن ينفث منه سمومه في الفروع والثمر . . . قد تكبر الشجرة وتورق ، ويكون منها بعض ظل ينفى له عابرو السبيل ممن لا يعينهم أنواع الشجر . . ولكن ثمرها يبقى مدخول الكيف والمذاق مغلوباً على أمره من هذا القابع في الأعماق يرقب الرائح والغادي يدس فيهما طعمه ورائحته .

وقد يجد هذا السكّان غذاءه الدسم من الطبيعة المفتوحة ، المليئة بالخير والشر والحلو والمر . . فيرسل لعبه فيما حوله . . ويأكل الجذور التي أنست إليه ولم تعد مع الأيام تستغرب طعمه ورائحته . . فإذا بالشجرة تميل مع الريح ، وما أكثر الرياح ، وتسترخى إلى الأرض ، وما أكثر ما أكلت الأرض غيرها من الشجر . . ثم تنهار ساقطة وقد كانت بالأمس الذي ولي تملأ البصر . . ألا إنه لا يفسر قول الله عز وجل « واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك » . . إلا قوله تباركت حكمته « فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته » .

\*\*\*

هذه العزلة نوع من الفطام . . فيه قسوة الفطام ، ولكن فيه كذلك إعداد الطفل للحياة . . لو استشير الطفل قبل فطامه لتملأ ورفض . . ولهذا كانت حاجة الدعوات إلى مربين فيهم قسوة الأم حين تفطم وليدها . . إنها قسوة في فهمه وحده . . وإن يدرك أنها كانت لحيره وبرآ به وبعض واجب الأم نحوه إلا حين يستوى على سوقه . . أيها المربون : عليكم بعزيمة الأم حين تفطم . . ولا تبالوا بفهم الطفل إذا تملأ . . وقولوا للذي ثقل عليه الثبات في الصف . . واضطربت مع الأهواء عيناه : ذلك أمر الله « ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة » .



# المسلمون سيران!

## للأستاذ عبد المنعم خلاف

كل ما في الأرض الآن يدعو المسلمين ويهيب بهم أن ينهضوا ليؤدوا دورهم الثاني في قيادة البشرية كما أدوا دورهم الأول...

وقد رشحهم لهذه المكانة أنهم أمة وسط بحكم شريعتهم وموقعهم الجغرافي بين الشرق والغرب والشمال والجنوب . فعندهم من هذه الآفاق جميعا أضواء وألوان قد أحكم مزجها وأتقن إخراجها في أخلاقهم وطبائعهم وعقليتهم في غير تفريط ولا إفراط . وقد رشحهم كذلك أنهم مكثوا دهرًا طويلا مستضعفين سلبين ليس لهم في تصريف شئون العالم يد ولا جهد ، فظلتوا يرصدون أغلاط غيرهم من الأقوياء الغاشمين وأعمالهم بعيون الناقلين حتى خلس لهم قدر صالح من الأحكام التي يغلب عليها الاتزان وعدم التحيز والتعصب لجنس ورأى ، وقد ذاقوا مرارة أغلاط الغاشمين وآثامهم وآلوا على أنفسهم أن يطهروا الأرض منها . وهذا هو ما يجعلهم الحكماء الذين ترضى حكومتهم في الفصل بين المذاهب والآراء التي تموج وتختلط في العقول والأذهان . ونرى تصديقا لهذا الرأي في وضع المسلمين أنهم لم يرضوا الانحياز إلى أفكار كل من المعسكرين المتقابلين في الشرق والغرب ، ولم يأخذوا دعاوى كليهما على علاتها بعُجرها وبُجرها كما يقال ، بل ينقدون هؤلاء وهؤلاء نقد البصير الذي عنده ذخيرة من الآراء هي في يده بمثابة « الصنج » والمثاقيل التي توضع في الموازين لتقاس بها رجاحة الموزون ؛ فلم تأخذهم الحماسة لآراء الشرقيين أو الغربيين ، بل قالوا لهؤلاء وهؤلاء : على رسلكم هناك طريق وسط لجميع الحسنيات مما عندكم وعند غيركم ، ولا يغفل حقيقة من حقائق النفس والوجود والاجتماع ، التي عاشت بها البشرية وسعدت في ماضى الأزمان ومراحل التاريخ . ولا يريد أن يرتد بالإنسان إلى أوضاع الحيوان المحدود المطالب بالمأكل والارعى والمتاع الغليظ المقيّد بقيود الجسد ، كما لا يريد أن يسلب الإنسان من حياة الأرض ليجعله إلى آفاق بعيدة المدى عن الحاجات والارتفاقات التي بها قوام الحياة بالجسد .

نعم أدرك المسلمون المعاصرون وضعهم الحقيقي ، ووصفهم الصحيح الذي وصفهم به

القرآن الكريم في قول الله تبارك وتعالى: «وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس» ولعل زمناً من الأزمان لم يتضح فيه ما يرمى إليه هذا الوصف للمسلمين كهذا الزمن الذي انقسم العالم فيه إلى كتلتين تزعم كل منهما لنفسها وعلى غيرها مزاعم ليس لها إلى الحق سلطان .

وعرف المسلمون حقيقة أنهم شهداء على الناس ، فأخذوا يتنادون بالدعوة إلى قيام كتلة ثالثة تكون ميزان القوى وصمام الأمن من احتكاك الكتلتين المتطرفتين .

ولو أن القائمين على أمور المسلمين يدركون ما في أصول النظم الإسلامية من حلول موفقة لمشكلات العالم الحالية لجعلوا وكدهم وأخلصوا سعيهم للتعجيل بقيام هذه الكتلة وتماسكها قبل استفحال الخطوب ، وإقبال الكروب المنتظرة من اصطدام المعسكرين ولأحسوا تبعاتهم ومسئولياتهم في إلقاء العالم ، ولم يقدم عن هذا السعى أنهم مستضعفون ليس لهم في حلبة السياسة العالمية قوة ولا في زعامتها رجل . . . فإن الضعف السامى كثيراً ما أثر في مجرى الحياة ما لم تؤثره القوى السافلة ، وقديماً أثر اليونان في الرومان وهم مغلوبون لهم ، وأثر المسيحيون المستضعفون في الرومان الجبابرة ؛ وأثر المسلمون المقهورون في التتار القاهرين حتى حولهم إلى معسكرهم فصاروا من خيار أجنادهم . .

ولهذا المعنى يعلن الله تعالى إرادته في الإدالة للضعف السامى من القوة الغاشمة دائماً ، ويجعل ذلك قانوناً من قوانين الحياة فيقول: «وزيد أن نَعْمُنَّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الورثين» ذلك لأن القوة الغاشمة دائماً تحمل أربابها على الطغيان والبطش ونسيان الأوضاع التي خلق الله تعالى الحياة على معاييرها ، حتى لتحمل على نسيان يد الله والعمى عن رؤيتها ، بل تحمل على محاربتها والجرأة عليها . . وعندما يصل مدُّ الطغيان إلى غايته هذه ، يمكر الله به ويدل منه «ولله جنود السموات والأرض» .

أما الضعف السامى فيجعل المستضعفين محل الانفعال بالحوادث وتلقيها بتذوق كامل لها ، وإدراك حقيقى لآثارها . وهذا الانفعال والتذوق والإدراك الحقيقى للأمور ، هو العوامل التي تنتج صحة الأحكام ؛ ولذلك كان المستضعفون ذوو العقائد الصالحة أصح من الأقوياء المتسلطين الغاشمين رأياً وأسلم قلوباً وأعرف بشئون الخلافة على الأرض ، ووراثه مقاليدها . ومن هنا ينفذون إلى السلطة والإدالة من الطغاة بعون الله وحسن إعدادهم لنفوسهم ؛ فعلى هذا ينبغي للمسلمين المستضعفين أن ينفذوا إلى أعدائهم من ثغرات ضعفهم التي هي في الوقت نفسه مظاهر كبرياء هؤلاء الأعداء المتكبرين ، وأن يحملهم بمختلف الوسائل على رؤية ما عندهم من الحقائق والآراء الصالحة .

وأولى هذه الوسائل أن يمثل المسلمون حقائق الإسلام ومعانيه في سلوكهم وتصرفاتهم وشرائع حياتهم ، حتى يكونوا إعلاناً مجسماً لما يدعون الناس إليه .

وهذا التمثيل ككل تمثيل يحتاج إلى « مخرجين » يتقنون فن إخراج الشعوب وتربيتها ، وعرض معالم شريعتها وأخلاقيها وعزائم جهودها عرضاً جميلاً أخذاً في عصر كل ما فيه قائم على فن الإعلان . . .

ولعل الله الكريم الذي بيده مقاليد الأمور ، وعنده مفاتيح الغيب يكون قد خبأ للعالم الجديد في هذه الأمة الوسط مطلعاً من مطالع الحق والعدل الذي تنشده البشرية وتسعى في سبيله ، وتتطلع إلى الآفاق بحثاً عنه « وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم » .



## مستقبل الإسلام

« . . . هذا وإن رأينا الذي نعول عليه أولاً وآخرًا ، ونرجع إليه باطنًا وظاهرًا ، أن الشرق أجمع سيتنبه من رقده وينهض من كبوته ، وأنه كما شهد القرن التاسع عشر استقلال أمريكا بأسرها ، فسوف تشهد بقية القرن العشرين استقلال آسيا بعروتها وزرعتها ، وأنه لا تمضي الثمانون سنة الباقية لتنام هذا القرن حتى يلي الإسلام بلاده ويبلغ من نعمة الاستقلال مراده . ليس هناك كهانة ولا عرافة ، ولا هي مقاصد تدرج بالرؤى والعيافة ، ولكن يعرف المستقبل من الحاضر ، ويدل الأول على الآخر » .

« شكيب أرسلان »

# توجيه المعارف في البلاد الإسلامية

لسماحة السيد أبي الحسن الندوي

وكيل ندوة العلماء بالهند

مسألة التعليم في البلاد الإسلامية مسألة مستقلة قائمة بذاتها، لأن الأمة الإسلامية أمة خاصة في طبيعتها ووضعها، هي أمة ذات مبدأ وعقيدة ورسالة ودعوة، فيجب أن يكون تعليمها خاضعاً لهذا المبدأ والعقيدة وهذه الرسالة والدعوة، ويكون أداة لإنشاء الأجيال التي تؤمن بهذه العقيدة وتحمل هذه الرسالة وتؤدي هذه الدعوة. وكل تعليم لا يؤدي هذا الواجب أو يغدر بذمته ويغنون في أماته فليس هو التعليم الإسلامي، بل هو التعليم الأجنبي، وليس هو البناء والتعمير، بل هو الهدم والتخريب. وأولى للبلاد الإسلامية أن تتجرد منه وتحرم من ثمراته المادية؛ فالأمة خير لها من هذا التعليم الذي يرزؤها في طبيعتها وعقيدتها وروحها، إذا فهمت التعليم في البلاد الإسلامية مهمة عسيرة ليست من السهولة بالمكان الذي يتصوره رجال التعليم في بلادنا، إنه ليس مجرد تعليم علوم وفنون ولغات وطنية وأجنبية وآداب أهلية وأوربية، بل هو إنشاء جيل جديد إنشاء فكرياً خلقياً روحياً ممتازاً، وذلك لا يتم أبداً بترجمة الكتب وجلب الأساتذة من الخارج وإنشاء عدد كبير من الجامعات والكليات وإرسال بعثات من الطلبة إلى أوروبا وأمريكا، إنما يحتاج إلى شيء كبير من النبوغ والابتكار، وشيء كثير من التأليف والإنتاج، فإن هذا التعليم يطلب منهاجاً دراسياً خاصاً، لا يوجد الآن كاملاً في أي بلد من بلاد الإسلام فضلاً عن بلاد الأجانب، وكلما استعير منهاج من بلاد غير إسلامية أو اخترت كتب وضعت في بلاد غير مسلمة ولناشئة غير مسلمة كان هذا منهاج وكادت هذه الكتب قلقة نائية لا تنفي بالغرض ولا تساعد في المطلوب، ويكون الصراع مستمراً بين الفكر الإسلامي والروح الإسلامية وبين العقلية الجديدة والنفسية الجديدة التي تنشأ بتأثير هذه الكتب ومفعول هذا النظام التعليمي، وهذا الصراع ليس أقل شؤماً لهذه الأمة، ولا أقل جناية على حياتها وإسلامها من صراع الدين والسياسة والعقل والديانة في أوروبا في قرونها الوسطى. وقد تجلّى هذا الصراع وعنف واستفحل في جميع الأقطار الإسلامية التي أخذت العلوم الغربية برمتها والكتب المقررة في البلاد الأجنبية



والكتب الحالية من روح الدين على علاتها ، وطبقت نظام أوربا أو بلاد أخرى في التعليم في بلادها وأدخلت عليه شيئاً من التعديل ، وقد دفعت لهذا التعليم وما جنت من فوائد مادية قيمة عالية جداً من الأخلاق والروح والعقيدة . وقد اتفقت كلمة العقلاء وأهل التجربة على أن خسارة الأمة والبلاد في هذا النظام التعليمي وفي هذه المعاهد ودور التعليم الحديث التي نسميها في بلادنا الهندية ( الكليات الإسلامية ) ، ( والجامعات الإسلامية ) كانت أكبر من ربحها ، فقد استنفدت دعاة التعليم العصري الحديث جهودهم وأموال المسلمين في إنشاء هذه المدارس وإقامتها ، واستخلصوا لها أفلاكاً كباد المسلمين وخيرة شبابهم ، فكان غاية ذلك بعد مدة قليلة فوضى فكرية هائلة واضطراباً وتناقضاً في الأفكار والآراء ، وشكاً وارتياباً في الدين ، واستخفافاً بفرائضه وواجباته ، وثورة على الآداب والأخلاق ، وضعفاً وانحطاطاً في الأخلاق والسيرة ، وتقليداً للأجانب في القشور والظواهر ، وتبذيراً للأموال إلى غير ذلك مما أصبح به هذا الجيل كلاً على الآباء وعلى الأمة ، وجرثومة الفساد في جسمها ونقطة الضعف في كيانها .

يرى المطلعون على حقائق العلوم وفلسفة التعلم أن للعلوم والكتب ضميراً كالكائنات الحية ، وهو باطن هذه العلوم والروح السارية في الكتب ؛ فالعلوم التي أنشأها الإسلام وصاغها في قلبه قد سرت فيها روح الإيمان بالله والفضيلة ، والعلوم التي وضعها اليونان أو رتبوها اشتملت على خرافاتهم وعلى روحهم الجاهلية ، وكذلك العلوم التي دونتها أمم أوربا الملحدة والكتب التي ألفها أدباؤها وفلاسفتها قد سرى فيها الإلحاد والجحود والإيمان بالماديات والمحسوسات فقط ، وقلة التقدير لما لا يأتي تحت الحس والوزن والحد والتجربة ، ومن الأخلاق ما لا يحصل منه لذة أو نفع محسوس ، وسرت هذه الروح في علومهم وفلسفتهم وأدبهم وشعرهم وقصصهم وتمثيلهم ، فلا يكون من الحكمة التعليمية ، أو من النصيحة للمسلمين نقل هذه العلوم والكتب المؤلفة فيها إلى النشء المسلم بروحها وضميرها ، بل يجب أن تدون هذه العلوم من جديد تدويناً إسلامياً وتؤلف فيها كتب مبتكرة ، وتشبع بالروح الدينية وتستخرج منها نتائج لا تعارض الدين بل تؤيده وتبعث اليقين والإيمان ، هكذا يجب أن نعمل مع التاريخ والجغرافية والعلوم الطبيعية ، فلكل منها اتصال بالدين وكل منها مؤثر في الدين . والحاصل أننا في بلادنا الإسلامية في حاجة ملحة إلى نظام تعليمي إسلامي في الروح والوضع والسبك والترتيب ، حتى لا يخلو كتاب من الكتب التي تعلم مبادئ اللغة إلى آخر كتاب يدرس في العلوم الطبيعية أو الآداب الإنجليزية من روح الدين والإيمان . هذا إذا أردنا أن ينشأ جيل جديد يفكر بالعقل



این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

والذى يلى السيرة النبوية فى التأثير والقوة هو تاريخ الخلفاء الراشدين والصحابة رضوان الله عليهم : تاريخ إيمانهم ومحتهم وحسن بلائهم ، وتاريخ جهادهم وفتوحهم وزهدهم واستقامتهم ، وهو تاريخ يملأ القلوب إيماناً وحماة ، ويبحث على تقليدهم لأنهم — وما كانوا إلا من عامة البشر — إنما جاءوا بثمرة طبيعية مباركة للإيمان بالدين واتباع الرسول ، وصنعهم الإيمان وحده صناعة ممتازة يقرأ الدارس فيها كيف ترتفع الإنسانية فوق المادية والأغراض الدنيا إلى التجرد من الأنانية والتفانى فى الله والتضحية والإيثار والوفاء ، وكيف أدرك تلامذة الوحي من ذلك كله الذروة العالية .

فلنكث من تدريس كتب التاريخ ، ولنكث من دراسة الحوادث والسير ؛ فإن للحوادث والسير تأثيراً ليس للمنطق والبرهان والمقالات العلمية .



## طريق الاستقلال

« ... فلا بد لاستقلال الإسلام ، من زوال هذه الأوهام ، ومن انتشار المعارف التى لا تجتمع مع الذل فى مكان ، ولا تبرح دون تلك الغاية مصاعب وقبح ، ومصائب وغمَم وليال مظلمة طوال ، ومعارك تشيب لها ذوائب الأطفال ... »

« شكيب أرسلان »

# المسلمون...

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

من هؤلاء التائهون الخابطون على التخوم ؟  
أغشى خطا أبصارهم رهج الزوابع والغيوم ..  
والليل ينفض فوقهم من يأسه قلق النجوم  
ويسوقهم زمرا إلى حفرة مولاة الرجوم  
السوط يزقل حولها والموت أنسرهم تحوم  
والقيد ينخسف من صدورهم المذلة والمهموم  
ويسومهم من عنقه وظاه أبشع مايسوم  
فاذا غفوا . . فعلى مواطئ كل جلاذ غشوم  
وإذا صحوا . . فعلى خطا للذل خاشعة الرسوم . .

\*\*\*

من هؤلاء الضائعون ؟ . . أفهؤلاء المسلمون ؟ !  
أبدأ ! ! تكذبي ، وترجني الحقائق والظنون . .

\*\*\*

أبدأ . . وكيف ؟ وفي يمينهم كتاب لا يهون  
أبدأ . . وكيف ؟ ودون سطوته وتنتحر القرون  
ويبيد طغيان العتاة ، ويهلك المتجبرون

وَيَخْرُ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ وَهَجِ الضِّيَاءِ الْفَاشِمُونَ  
 الْفَاسِدُونَ ، الْمُفْسِدُونَ الظَّالِمُونَ ، الْمُظْلِمُونَ  
 الشَّارِبُونَ الدَّمْعَ تَمَنَّيَ فِي التَّجَازِرِ بَضْرُخُونَ  
 السَّائِقُونَ الْخَلْقَ كَالْقَطْعَانِ سَاجِدَةَ الْعُيُونِ  
 مَبْهُورَةً ، مَبْهُورَةً بِالسَّوْطِ ، تَجْهَلُ مَا يَكُونُ  
 بَلَمَاءَ ، رَوَّعَهَا الصَّدَى وَاجْتَنَحَ قِيَمَتَهَا الْجُنُونُ  
 وَأَحَالَهَا عَدَمًا يَكْبُرُ لِلرَّدى . . لو تسمعون !

\*\*\*

مَنْ هَؤُلَاءِ الْخَائِعُونَ ؟ . . أَهَؤُلَاءِ الْمُسْلِمُونَ ؟ !  
 أبدأ . . تَكْذَّبْنِي ، وَتَرْجُمْنِي الْحَقَائِقُ وَالطُّنُونُ . .

\*\*\*

أنا منهم . . لَكِنِّي نَعَمْ بِسْمِعِهِمْ شَرِيدُ  
 رَبَّضْتُ بِهِ الْأَضْفَادُ . . بَلْ طَحَنَتْهُ غَمَمَةُ الْعَبِيدُ  
 وَجُورًا شَرْقِ مُبْدِيءِ بَانِينَ أُمَّتِهِ مُعِيدُ  
 أَنْكِ عَلَيْهِم . . أَمْ عَلَى غَلٍّ يَكْبَلْنِي شَدِيدُ !  
 إِنَّا هَجَرْنَا اللَّهَ . . . هَجَرْتُنَا إِيْشِيْطَانِ مَرِيدُ  
 عَاتٍ تَرَوُّضُنَا حَضًا رَتَهُ لِكَلِّ هَوًى مُبِيدُ  
 وَلِكَلِّ مَنْ يُنْجِي لَنَا الْإِسْلَامَ فِي كَفَنِ جَدِيدُ . .  
 نَسَجَتْهُ أَخِيلَةُ الْعَصُورِ الشُّوْدُ مُذْ زَمَنِ بَعِيدُ  
 لِتُحِيلَ دِينَ « مُحَمَّدٍ » وَهَمَّا عَلَى نَعَشٍ تَجِيدُ  
 وَإِذَا الْجِنَازَةُ لَوْعَةٌ حَرَّى مَشِيْعُهَا سَعِيدُ



مَنْ هَؤُلَاءِ الْمَالِكُونَ ؟ . . أَهَؤُلَاءِ الْمُسْلِمُونَ ؟ !  
أبداً . . تكذِّبُنِي ، وَتَرْجُئُنِي الْحَقَائِقُ وَالظُّنُونُ . .

\*\*\*

مَنْ كَانَ لِلْإِسْلَامِ ، فَلْيَضْرِبْ بِمِعْوَلِهِ الْفَسَادَ  
فَيَصْصِيحُ بِاللَّصِّ الْعَتَى : كِفَاكَ مِنْ شَبِيعٍ وَزَادُ  
وَيَصْصِيحُ بِالْفُسَّاقِ : إِيَّاكُمْ وَأَعْرَاضَ الْعِبَادِ  
وَيَصْصِيحُ بِالطَّاغِينَ : أَسْرَفْتُمْ ، لِكُلِّ مَدَى نَفَادِ  
وَيَصْصِيحُ بِالْبَاغِينَ : وَنَحْكُمُ ، لِقَدْ ذَهَبَ الرُّقَادُ  
وَيَصْصِيحُ بِالْعَاوِينَ : وَنِيلَكُمْ ، إِذَا حَانَ الْحَصَادُ  
وَطَوَّأَكُمْ حَدُّ الْمَنَاجِلِ : بَيْنَ أَذْرُعِهِ الشَّدَادُ  
وَنَظَرْتُمْ . . فَإِذَا الظَّلَامُ عَلَيْكُمْ حَنَقُ السَّوَادِ  
رِيحُ مُصَرِّصَةِ الزَّيْتِ ، كَأَخْتِهَا فِي يَوْمِ « عَادِ »  
تَسْقِيكُمْ مِنْ وَيْلِهَا وَخَرَابِهَا تُحَمُّ الرِّشَادُ . .

\*\*\*

مَنْ هَؤُلَاءِ الصَّاعِرُونَ ؟ . . أَهَؤُلَاءِ الْمُسْلِمُونَ ؟ !  
التَّائِبُونَ ، الْعَابِدُونَ ، الرَّائِعُونَ ، السَّاجِدُونَ ! ! !

# الله

للأستاذ أحمد الصافي النجفي

بلغتُ ما يصبو إليه الوري      وغير ذا ما أتمناه  
أرضيتُ بالشعر البرايا وما      أرضاه إن لم يرضه الله  
الله أستاذي وكل الذي      خطَّ يرَاعى فهو أمله  
لا مبدع إلا هو لا ناقد      سواء ، ما ياباه آباه  
أخجل من عرض فنوني له      وإن تكن بعض عطاياه  
أبدلتُ بالفرن خشوعي فإن      يُقبل فذا ما أتوخاه  
شوهتُ فن الله إذ رُمت أن      أزيد بالفرن مزياه  
أحتقر الناس وعجائبهم      ومن هم ؟ لا شيء إلا هو  
لولا تجليته على خلقه      لقلت هم والوهم أشباه  
الله نور الأرض نور السما      ما أنا ما العالم ؟ لولا هو  
أعمى الوري من لا يرى نوره      ألم يشاهد ؟ أين عيناه ؟  
أعمته عيناه وأغفى على      عمى فلم تصدقه رؤياه  
تاه من النور وكم معشر      إن تزد النور لهم تاهوا  
كم تكذب العين بما تدعى      فأوضح العالم أخفاه  
أراه في الكون بعين الحجا      لا أشرك العين بمرآه  
إذا ادعى عقلك إنكاره      فأنكر العقل ودعواه  
مُعظمي كوني من فيضه      مُصغري فهمي إياه  
عجبت من ساج إلى غيره      والكل لفظ هو معناه

تأله البعض شعوراً به فصاح في جيتى الله  
ولو رآه لموى مثلها موسى هوى من طور سيناه  
آمنت بعد الكفر مستغفراً عن جهل عقلى وخطاياها  
يأخذ مصنوع على صانع ما أحقر العقل وأغباه  
وعدت إلى الخالق أدعوه أن يزيد نوري يوم ألقاه  
تمردت نفسى على كل ما قد خلق الله وسواه  
حتى بدت للعين أنواره فلم تشوشها مراياه  
كهولتى بالله قد آمنت ضل شبابى ودعواه  
فإن تجدد ذا شية جاحداً قفل إلى الموت أحلفاه  
روح المعرى فى قد آمنت فأبصرت فى الموت عيناه  
عاشت بروحى روحه ترتقى فذ سمت لاح لها الله  
بدأت تلميذاً على عقله ثم اعلى عقلى فأعلاه  
أنضجت روح الشعر فى روحه فاستيقظت فى العقل رؤياه  
واستيقظ العقل بما قد رأى واتحد الرأى ومرآه  
وضل أتباع المعرى إذ ظنوه قد ظل على ما هو  
خالوه من جمودهم جامداً لقد أساءوا لمزاياه  
ما هو إلا فكرة نعتلى حتى ترى فى الكون أعلاه  
أفكارنا أفكار قوم مضوا يتصل الأعلى بأدناه  
مراحل الفكر بهذى الدنا مراحل العمر بدنياه  
آخرة المرء كدنياه ومنتهى الفكر كمبداه  
كانت بذوراً وغدت دوحه تُثمر ما البذر جنياه  
ما نحن إلا فكرة لم تزل ترقى إلى ما قدر الله  
رسالة الغفران لم تغتفر للشعرا كفراً به فاهوا  
وجئت فى شعرى مستغفراً عن المعرى وخطاياها

# تحية الشعراء

للأستاذ محمود أبو النجاة

طلعت على ليل الوجود ضياءً وتضوَّعت في قفريه فيحاءً  
وتدققت من صخره أنهارها تروى نفوساً للجهاد ظمأً  
وتجرَّدت أفلامها ، وكأنها بيضٌ يسيلُ مدادُهِنَّ دماءً  
فلها التحيةُ من سوادِ قلوبنا ونصوغُ من نورِ العيونِ ثناءً

\*\*\*

(المسلمون) صحيفة « قريّة » غراء ، تُحيي السمحة الغراء  
قامت على صرح الشريعة تبتنى أجادها وتعيدُها شماءً  
والجُدُّ لا يُعطى شراباً سائفاً إن رُمت مجداً ، فاسأل الشهداء

\*\*\*

يا قادة الشرق المبيض ، استيقظوا فالغربُ أعلنها لكم شعواء  
حرباً تمسُّ الدينَ في تقدسيه وتزعزعتها « انجلترا » وهي التي  
بالأمس مكَّنت اليهودَ فأنشأوا وسطَ المهازِلِ دولةَ عرجاء  
وغدت « فلسطين » الشهيدة موطناً لهمو ، وأصبح أهلها غرباء  
واليومَ في مصرَ العزيزة جرَّدت جيشاً يناجزُ أمةً عزلاء !  
للشرق داء لا يُرجى برؤه إلا إذا أخذ « الكتاب » دواءً

والله - جلّ الله - أخبر أن في آياته للمؤمنين شفاء

\*\*\*

سِرِّ يا «سعيد» بنور ربك ماضياً      إني عهدتُك «كالشهاب» مضاء  
فلقد نشأت على مبادئ دعوة      بذت الرجال العاملين بناء  
صمدوا لأهوال شدادٍ ، فانشئت      عنهم ، وزادوا بالخطوب نقاء  
وتعلموا فنّ الجهاد ، ومارسوا      صفقاته بيعاً لها وشراء  
ربّاهم «البناء الشهيد» فأصبحوا      مثلاً ، وأضحى كلهم «بناء»





# مراكش المسلمة

## للأستاذ علال الفاسي

مراكش إحدى البلدان العربية المسلمة العريقة في مجد العروبة وفضل الإسلام ، لها ماض ملء بالفخر إذ لعبت في المغرب نفس الدور الذي لعبته العراق والشام ومصر في المشرق ، وهي لم تعرف في تاريخها الطويل فتحاً أجنبياً ولا استعماراً ولو تركيا ، وذلك لما جبل عليه أهلها من حب الاستقلال والدود عن الحياض والتمسك بتقاليد العزة والكرامة ، ولم يكن الفتح العربي لها احتلالاً ، وإنما كان كشأنه في سائر البقاع هداية للناس وتبشيراً بدين الحق وتنويراً للعقول ، ومنذ أن ارتضت الإسلام ديناً وهي تكون دولة من أقوى دول العالم الإسلامي . ويكفيها فخراً أنها أوقفت تيار التهجمات الصليبية المتعاقبة على المغرب العربي طيلة القرون السالفة ، وهاجمت وانتصرت مراراً على دول النصرانية المتاخمة التي لم تأل جهداً في مقاومة المسلمين وتعقبهم حيثما حلوا .

وإن الذي يتتبع تاريخ العلاقات بين مراكش وبين أسبانيا والبرتغال من جهة ، وبين بقية الدول اللاتينية والسكسونية من جهة أخرى لا يشك في أن هجوم هؤلاء وأولئك على مراكش وتقسيمها إلى عدة مناطق لكل واحد منهم منطقة مخصوصة ، لم يكن بداعي التوسع والاستعمار فقط ، ولا يباعث الرأسمالية والاستغلال لحسب ، ولكنه امتداد للحروب الصليبية العتيقة التي طالما تألبت فيها النصرانية اللاتينية على مراكش المسلمة العربية ؛ فقد أوصلت الملكة ( إزابيلا الكاثوليكية ) بعد أن طردت المسلمين من الأندلس بطردهم أيضاً من شمال أفريقيا ، ووصيتها محفوفة عند الأسبان يتدارسونها بينهم تدارس الدول الحرة لميثاق حقوق الإنسان ، ولقد صرح غير واحد من ساستهم بأن هذه الوصية يجب أن تنفذ وأن يعمل كل أسباني على تحقيقها .

وإذا كان التنافس الاستعماري قد جعل فرنسا تقف دون أسبانيا ودون فتح الشمال الإفريقي برمته ، فإن فرنسا لا تقل تعصباً دينياً عن شقيقتها اللاتينية ، ولم تصدر في فتحها لتونس والجزائر ومراكش إلا عن نفس الروح التي تملأها الوصية الأسبانية . ولقد كان للكردينال ( دولا فيجوري ) دور مهم كبير في تنظيم حملات الاستعمار

والتبشير في إفريقيا الشمالية ، وهو الذي سجل في رسالة كتبها لوزير الخارجية الفرنسية ضرورة فتح مراكش للابقي الطائر ( الجزائر ) بجناح واحد ( تونس ) ، مذكراً بما يفرضه الدين المسيحي من ضرورة العمل على تنصير المسلمين وفتح المجال الحيوي للكنيسة ،

وسار الساسة الفرنسيون والأسبان في كل الشمال الإفريقي على نفس السياسة التبشيرية التي دعا إليها الكاردينال الفرنسي وأوصت بها الملكة الأسبانية ، فكان الإسلام هو العدو الأول الذي تتوجه إليه اعتداءات الفرنسيين والأسبان بكل الوسائل ، وليس أدل على ذلك من السياسة البربرية التي سارت عليها فرنسا في المغرب العربي ، وأعلنتها رسمياً ونفذتها في مراكش ؛ تلك السياسة التي تقوم على فكرة فرنسة المقاربة عن طريق تمسيحهم ، وأعظم مظاهرها ما يسمونه ( بالظهير البربري ) الذي أدى إلى إقفال المحاكم الشرعية في سائر القبائل التي يسمونها ( بالمناطق البربرية ) ، وقد أحلت السلطة الفرنسية محلها مجالس عرفية ؛ قاضي الضبط فيها ضابط نصراني فرنسي ، هو الذي يتولى للمسلمين البربر كتابة عقود الزواج بالحروف اللاتينية ، ومن أعمالها إقفال كل المدارس والكتاتيب القرآنية في القرى والبادي المغربية ، وإحلال بعض المدارس التي لا تعلم إلا اللغة الفرنسية محلها تحت إشراف مديرين غير مسلمين ، وأحياناً من الرهبان الكاثوليكين .

وليست الأعراف التي أحلوها محل الشرع الإسلامي في هذه المحاكم قوانين مدنية متحضرة حتى يمكن لمن لا يؤمن بالله أن يعتذر عنها ، ولكنها أعراف جاهلية نبش عنها الفرنسيون وأعطوها حكم القانون ، فصار يُرغم عليها البربر المسلمون وهم لها كارهون ، فالمرأة في هذه الأعراف مضمومة الحق والجانب ، لا ترث بل تورث ، وتباع بيع الأغنام ولا تتمتع بأي حق من الحقوق التي أعطاها الإسلام ، غير أنه يمكنها أن تفارق زوجها متى ردت إليه الصداق الذي قدمه إليها ، ومتى ما اختارت زوجاً غيره دون عدة ولا استبراء ، وقد طبقت أسبانيا هذه السياسة نفسها من غير أن تعلن عنها أو تضع لها تشريعاً رسمياً كما فعلت فرنسا ، وطبقتها فرنسا كذلك في بعض قبائل سوريا وكذلك إنجلترا في العشائر العراقية وفي قسم من السودان .

فالحمة إذن حملة صليبية في المشرق والمغرب ، ولكنها أبرز ظهوراً في مراكش لأنها في جوار الغرب الذي يرى في استرجاعها لخطيرة الكنيسة انتقاماً من الإسلام وفوزاً على المسلمين .

ولقد قاوم المراكشيون هذه السياسة التبشيرية منذ إحدى وعشرين سنة ، ولكن مقاومتهم وحدها لا تجدى كثيراً مع الضغط الفرنسى الأسبانى والقساوة اللاتينية ؛ ولذلك فمن الضرورى أن يستمدوا العون والتأييد من إخوانهم المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، وإذا كان بعض هذا العون قد أخذ يبذل لهم بفضل جهود الكافحين من إخواننا ، فإننا نرجو أن لا يألوا العاملون من رجال الكفاح الإسلامى جهداً فى الدعوة لتأييد مراكش ومناصرتها ، حتى تبقى قضيتها معروضة أمام الرأى العام الإسلامى والأجنبى ، فإن فى ذلك تشجيعاً للمراكشين وتحذيراً للأسبان والفرنسيين .

على أن الحملة الصليبية القائمة اليوم ضد العالم الإسلامى يجب أن تواجهه حملة واحدة تضرب ضربة الرجل الواحد ، ويجب أن يتكفل الكافحون فى الشرق والمغرب ويتقدموا للجهاد المقدس من أجل تحرير بلاد الإسلام ، حتى يعيش الإسلام وينتصر ولو كره الكافرون .

وعسى أن تكون هذه الحملة الغراء (المسلمون) خير رسالة يتبادلها المناضلون فى سبيل الإسلام لتوحيد الكلمة وتنظيم الخطط وتعبئة الجهود . والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه .

### معلومات عن مراكش

- يبلغ عدد سكان مراكش ١٢ مليوناً ومجموع الأجانب فيها ٣٦٠٠٠٠ .
- وتبلغ مساحة الأرض الزراعية ١٥ مليون فدان وتنتج سنوياً ١٠ مليون شجرة زيتون و ٩ مليون شجرة تين و ٨ مليون شجرة لوز و ٨ مليون نخلة — وتغطى الفواكه ١٢٠ ألف فدان من أراضيها — كما تنتج كميات هائلة من الفوسفات ( ٤ مليون طن ) والنجيز ( ٤٥٠ ألف ) والبترو ( ١٢٠٠٠ طن ) والكوبلت ( ٨٨٩ طن أى ١/١٠ إنتاج العالم ) والفحم والحديد والرصاص والحزف والأنتيمونى والنحاس .
- يبلغ عدد الأطفال المسلمين فى سن التعليم مليونين لا يتلقى التعليم منهم إلا ( ١٧٠٠٠٠ ) أما الباقى فلا يوجد مدارس تؤويه .
- مجموع ميزانيتها ٨٢ مليون جنيه يصرف أكثر من نصفها على الجهاز الإدارى الفرنسى .
- يوجد طبيب واحد لكل ( ١٣٠٠٠٠ مراكشى ) وشرطى لكل ( ٦٠٠ ) .

# في أفق العالم الإسلامي

سنتناول في هذا الباب أحداث العالم الإسلامي في إجمال ،  
أما تفصيل مشاكله الخاصة فذلك سنفرد له باباً خاصاً في الأعداد  
القادمة إن شاء الله .

وسنبداً بموجز سريع لقضايا الساعة ، ثم نتابع بعد ذلك ما يجد  
من أمرها ومن أمر غيرها مما يتصل بشئون المسلمين جميعاً ...

## وادي النيل :

... وأخيراً أقدمت الحكومة المصرية على إلغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقيتي ١٨٩٩ ، وهي  
خطوة وإن جاءت متأخرة إلا أنها اتجاه سليم في علاج قضية وادي النيل على أن يكون معروفاً  
أن هذا الإلغاء بدء واستفتاح ، وأن وراءه تبعات ثقيلة ، وجهاداً مضنياً ، فإن الإنجليز مقبلون  
على حرب يعدون عدتها ، ولن يخرجهم من مصر والسودان ورقة مكتوبة ، ولا خطبة بليضة ؛  
فإنهم أعرف بمصالحهم وأعلم بما وراء الكتب والخطب ، واليوم الذي يغادرون فيه هذه البلاد  
هو اليوم الذي يشمون فيه رائحة الجدد ، ويتحققون من أن بقاءهم لن يفيد شيئاً مما يدبرون ،  
ولا يعدل الثمن الذي سيدفعون ، فإن القاعدة العسكرية شرطها الأمن والاستقرار ، والسلامة  
من الرسميين والأهليين على السواء . ولهذا فإن قيمة خطوة الحكومة المصرية بإلغاء المعاهدة  
محدودة بخطواتها بعد ذلك ، وبالعدة التي أعدتها للأمر وتطوراته . والحوادث التي حدثت في منطقة  
القتال أثر الإلغاء ، وتبدت فيها بربرية الإنجليز وإن كانت عند المراقبين للحوادث طبيعية ومتوقعة  
إلا أنها أزعجتهم وجعلتهم يتظنون في روح الجدد التي ألفت بها المعاهدة ويخشون الارتجال الذي  
اتسمت به سياستنا العربية الفاضلة . وهم يرون كذلك أن الدور الأول في مكافحة الإنجليز  
« المحتلين » يجب أن تضطلع به الحكومة التي كانت خطواتها إعلاناً لثورة اختارت هي وقتها  
وظروفها ، فهي أقدر من الشعب على الإحاطة بدقائقها ، ويقولون إنه لا يجوز أن يفهم أن دور  
الشعب اليوم كدوره سنة ١٩١٩ ، فإن الحالك يومذاك كان من الإنجليز ، أما اليوم فالحالك هو  
مجلس من وزراء مصريين يجب أن يتجاوزوا مع الشعب تجاوباً كاملاً ، وأن تقف الأمة كلها صفاً  
واحداً لمزاء كل احتمال ، فإن ذكرت المقاطعة مثلاً كان المفهوم الأول منها منع الاستيراد والتصدير  
لا مجرد مقاطعة البضاعة التي دفع التاجر المصري ثمنها للإنجليز وضربتها للحكومة ، وكانت مهمة الحكومة  
في هذه المقاطعة أسبق من مهمة الشعب ... فإذا وجد هذا التجاوب أصبح دور الشعب « الأساسي »  
القيام بعمل موحد الوجهة مأمون العاقبة . وليس من طبيعة هذا الدور العملي أن تشوشه مظاهرات  
الصحف واستعراض الطرقات ، ولكن طبيعته الأولى يجب أن تكون إثارة الجدد والعمل الصامت .



## فلسطين :

قد يبدو غريباً أن نتحدث عن مشكلة فلسطين ، وهي لم تعد اليوم من مشاكل الساعة ، ولكن الأمر ليس غريباً على الذين قرأوا تاريخ الإسلام وعرفوا أن جبال فلسطين لم تزل خلال العصور ترتطم بها أمواج الشرق والغرب وتحدث عندها المعركة بين المسلمين ، فنذ اخترقت طوائف الفرسان الصليبية القسطنطينية سنة ١٠٩٨ م واستولوا على أنطاكية في طريقهم إلى فلسطين — وكانت إذ ذاك جزءاً من مصر — وصلوا القدس وأعملوا في مسلميها ذبحاً وتقتيلاً . منذئذ والروح الصليبية تسيطر على دول الغرب وتتخذ أشكالاً مختلفة في محاربة الإسلام والمسلمين ، وفي حجر هذه الصليبية نشأت الصهيونية أو اليهودية العالمية ، وكلاهما بمعنى واحد ، ووجد اليهود من النصارى أولياء ، واجتمعت الكتلتان الشرقية والغربية للمرة الأولى على رأى واحد في قضية فلسطين ، وتآمر الكل وأحكموا خطتهم والمسلمون نيام لا يدرون ما يراد بهم ، وساستهم منشغلون عن ذلك كله بالعرض الزائل والمتاع الرخيص .

وقد قضى عرب فلسطين أكثر من ثلاثين سنة يعانون وحدهم مخالب هذه المؤامرة النكراء ، وعرفتهم الدنيا حينئذ أبطالاً أقضوا مضاجع الإنجليز . ثم تركت انجلترا فلسطين بعد أن أدت دورها الخبيث في الداخل والخارج ، وأسرفت الدول العربية في الوعود والعهود ، وكانت المعركة السياسية — لا العسكرية — هي التي تكشف عن مهزلة أليمة مخزية .

والذي يعنيننا من هذه العجالة أمور ثلاثة : أولها : أن المسئول عن هذه الهزيمة هو الحكومات العربية قبل الشعوب ، لأن هذه الشعوب وهي حديثة عهد باليقظة لم يكن يبلغ بها سوء الظن أن تكذب كل وعود حكوماتها وعهودها . والمتطوعون من هذه الشعوب — في الحدود التي فرضت عليهم — كانوا أمثلة رائعة في الإيمان والثبات والتنافس على الاستشهاد الكريم .

والأمر الثاني : أن المصائب التي جرتها قضية فلسطين يجب ألا يصاب منها المسلمون بجزع وخيبة أمل ، بل عليهم أن يتلمسوا فيها نوراً جديداً يسرون به سيراً جديداً ... فإن الفضائح التي كانت مستورة أقدم من قضية فلسطين ، وحسرت فلسطين النقاب عنها !! فلماذا الجزع وخيبة الأمل ؟ لماذا لا تكون معرفتنا لحقيقة أمراضنا أول رحمة الله بنا ؟ . ثم إن دم الشهداء الذي سال على أرض فلسطين لم يذهب سدى ، لا عند الله ولا عند المسلمين : هو عند الله قرينة نرجو بها حلمه ورحمته ، وهو عند الناس تذكير بفريضة الجهاد في سبيل الله وجمع لشمل المسلمين من جديد على معنى التضحية في سبيل قلة المسلمين الأولى . والمتطوعون الذين عادوا من المعركة سالمين لا يزالون يذكرون إخوانهم الشهداء الذين دفنهم بأيديهم ، ويستشعرون الرباط القدسي القوي الذي يربطهم بالمسجد الأقصى المبارك .

والأمر الثالث والأخير : هو أن يتنبه المسلمون إلى الخطر الذي يهددهم من قيام دولة اليهود ، وأن فلسطين ليست إلا مركزاً لأحلام واسعة لا يزال يتراءى لهم فيها ديار بني قينقاع وبني النضير وخيبر ، وأن ملكهم كما يزعمون من دجلة إلى النيل ، وأتنامقون — غداً أو بعد غد — على حرب مع اليهود ، ما من ذلك مفر ، وهم يعدون عدتها ، فإذا نعد نحن ؟ ! . يجب أن يتربى المسلمون على معنى الكفاح ، وأن يذكروا فلسطين مع سائر قضاياهم كل صباح ومساء ، وأن يفهموها حرباً معلنة على الإسلام والمسلمين . قال الله تعالى : « ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا » .



كشمير:

ولدت قضية كشمير مع مولد الباكستان ولعله أريد بها أن تظل مشغلة تهدد الدولة الناشئة . وتتلخص أهمية كشمير بالنسبة للباكستان في موقعها الاستراتيجي ، فهي تتاخم روسيا والصين في الشمال والشرق ، وتتاخم أفغانستان والباكستان في الغرب ، والهند في الجنوب ، وتنبع منها الأنهار الرئيسية التي تعتمد عليها باكستان الغربية ، ونسبة المسلمين فيها أكثر من ٨٠ ٪ . أما أهمية باكستان بالنسبة لكشمير فهي أنها سوق حاصلاتها ، وموانئها هي الموانئ التي تصدر منها كشمير بضائعها .

ولا تزال قضية كشمير معلقة في مجلس الأمن ، ولا تزال الهند تنهز من استفتاء حر يقرر شعبها فيه مصيره . وفشلت قرارات مجلس الأمن المتعددة ثم التحكيم في إقناع الهند بفكرة سحب قواتها وقوات الباكستان لتتصرف هيئة الأمم على الاستفتاء رغم ما أبدته الباكستان من استعداد كامل .

ويظهر أن الهند تخشى عاقبة الاستفتاء ولا تراه من صالحها وتصرّ على أن تنهج سياسة الأمر الواقع ، وهو ما نراه خطراً عليها وعلى الباكستان على السواء .

ونحن وإن كنا لانرجو خيراً حقيقياً على يد مجلس الأمن وهيئة الأمم ، إلا أننا نعتب على حكوماتنا العربية والإسلامية موقفها المائع في هذه القضية مع وضوح وجه الحق فيها ، ومع أن الباكستان لم تدخر وسعاً في كل قضية عربية أو إسلامية ، وقد كان أولى بها أن ترد الجميل وتشد أزر الشقيقة الكبيرة في قضيتها الأولى ، سيما وأنها بهذا الموقف الغامض لن ترضى أحداً .

مركز تحقيق وتطوير علوم إسلامي

إيران:

بهزت الدنيا بشورة إيران المفاجئة ، وكتب الله لشعب إيران أن يكون شعلة من شعل الأمل في هذه الفترة من تاريخ المسلمين . وشعب إيران ككل الشعوب الإسلامية ، ينطوى على حياة مذخورة وإن خفي عن الناس وجهها ، وقد ظل الإيرانيون صابرين على الشركة الإنجليزية الإيرانية للبتروال التي كانت مهمتها من أول يوم استمراراً للامتيازات البغيضة التي ثاروا عليها سنة ١٩٢٠ وأعلن رضا شاه بهلوي إلغائها سنة ١٩٢٧

وظل الأمر كذلك حتى قتل جندي «فدائيان إسلام» رازماراه ، وتقدم آية الله السيد أبو القاسم الكاشاني والسيد نواب صفوي ليقودا الشعب في مظاهرة تنادي بتأميم البتروال . ثم أُلّف الدكتور ، محمد مصدق الوزارة ؛ وهو المؤمن بفكرة التأميم ، فاتحدت بذلك كلمة إيران وكان للشعب ما أراد ولم تغن محكمة العدل ولا وسيط أمريكا ولا هيئة الأمم عن انجلترا شيئاً ، وقد كان الدكتور مصدق والدكتور حسين فاطمي نائبه قوين في عرض قضيتهما في أمريكا ، والمأمول أن تثبت حكومة إيران على سياستها وألا يكون صحيحاً ما يشاع من احتمال تغير فيها ، وأن يذكر إخواننا في إيران أن ضريبة الاستقلال صعبة وأن الصبر على تبعاتها - مهما كانت قاسية - هو طريق الشعوب الطامحة ، وربنا يقول : « ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين » .